المركز القومى للترجمة

الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية

المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه

تأليف : رودى پارت
ترجمة: مصطفى ماهر

ميراث الترجمة

1784



هذا الكتاب الذى ألفه العالم الجليل رودى پارت - مترجم القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية - يعرض لتطور الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية منذ منتصف القرن الماضى وحتى الآن، وهو تكملة لجهود سبقت عند غيره من المستشرقين الألمان، كما يعرض الكتاب لقضية مهمة، وهى مدى تقبل الباحثين الشرقيين لدراسات الاستشراق.

تصميم الغلاف: نسرين كشك

الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية

المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

إشراف: فيصل يونس

سلسلة ميراث الترجمة
المشرف على السلسلة: مصطفى لبيب

- العدد: 1784
- الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية
- رودى بارت
- مصطفى ماهر
- 2011

هذه ترجمة كتـــاب:
THE STUDY OF ARABIC & ISLAM
AT GERMAN UNIVERSITIES:
German Orientalists since Theodor Nöldeke
By: Rudi Paret

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة– القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ – ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524- 27354526 Fax: 27354554

الدراسات العربية والإسلامية
فى الجامعات الألمانية

المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه

تـــأليف: رودى پارت
ترجـــمة: مصطفى ماهر

2011

بارت، رودى.
الدراسات العربية والإسلامية فى الجامعات الألمانية: المستشرقون الألمان منذ تيودر نولدكه / تأليف: رودى بارت؛ ترجمة: مصطفى ماهر. ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠١١ .
١٣٦ص ؛ ٢٠سم . ـ (المركز القومى للترجمة)
تدمك ١ ٨٣٥ ٤٢١ ٩٧٧ ٩٧٨
١ ـ الاستشراق والمستشرقون.
أ ـ ماهر، مصطفى. (مترجم)
ب ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٥٣٩٨/ ٢٠١١
I. S. B. N 978 - 977 - 421 -835 - 1
ديوى ٨٠١,٩٥

المحتويات

مقدمة المترجم

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ الدكتور رودى پارت عالم جليل كرّس حياته لخدمة علوم العربية وعلوم الإسلام، وصنّف فيها عدداً كبيراً من الدراسات العميقة سدّ بها ركناً هاماً فى مكتبة الاستشراق. وحسبنا أن نذكر ترجمته للقرآن التى عكف على ترجمتها عشرات السنين وأخرجها تباعًا بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٦٦، تلك الترجمة التى تشهد بتبحره فى لغة الضاد ويفهمه الواسع لمعانى الكتاب الكريم. أما أعماله الأخرى فنشير منها إلى كتاب له عن النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى دراسة الرواية الشعبية المصرية «سيف بن ذى يزن»، وإلى دراسة فى قصص الهوى فى الأدب العربى القديم، ودراسة فى أدب المغازى وفى الثقافة الإسلامية بالعصر الوسيط وفى صلة الإسلام بالثقافة الإغريقية.

والكتاب الذى ترجمناه له ونقدمه للقارئ العربى يعرض صورة لتطور الدراسات العربية والدراسات الإسلامية فى الجامعات الألمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب. ولهذا فإننا نستطيع دون تورّط فى خطأ أو مبالغة أن نعتبره تكملة بطريقة أخرى للدراسة القيمة التى ألفها الأستاذ الدكتور يوهان فوك بعنوان «الدراسات العربية فى أوروبا من القرن الثانى عشر إلى مطلع القرن

التاسع عشر» ونشرها عام ١٩٤٤ (فى مجموعة دراسات فى علوم العربية والسامية وعلوم الإسلام أخرجها ريشارد هرتمان وهلموت شيل)، ثم تناولها من جديد بالزيادة والتوسيع ونشرها فى عام ١٩٥٥ فى لايبتسج باسم «الدراسات العربية فى أوروبا منذ البداية إلى مطلع القرن العشرين». على أنه لا ينبغى أن يفوت علينا أن الأستاذ پارت شمل بكتابه مجالاً أوسع، فهو لا يكتفى بالدراسات العربية، بل يضم إليها الدراسات الإسلامية بأفرعها المختلفة.

وقد تعرض المؤلف فى أجزاء من الكتاب لموضوع هام هو مدى تقبُّل أهل الشرق لدراسات المستشرقين. والرأى عنده أن دراسات المستشرقين تقابل بالشك والريبة، واستشهد بكتاب صغير للدكتور محمد البهى بعنوان «المبشرون والمستشرقون ومواقفهم من الإسلام». والحقيقة أن الاستشراق ارتبط فى بدايته - كما يقرر الأستاذ يوهان فوك فى كتابه المشار إليه - بالحركة الصليبية، وأن المستشرقين الأول كانوا يعتبرون عملهم نوعًا من الكفاح ضد الإسلام والعروبة. وكذلك ارتبط الاستشراق فى أوقات بعينها، وفى كتاب الأستاذ رودى پارت نفسه أمثلة على ذلك، بالاستعمار. ولهذا فلا ينبغى أن يكون من المستغرب أن يوجد بين المسلمين والعرب اتجاه يقوم على الارتياب والتشكك فى نوايا المستشرقين. على أننا لا ننكر الاهتمام الكبير الذى حظى به المستشرقون الذين تتسم أعمالهم بالموضوعية العلمية فى الشرق. وليس أدل على ذلك من تلك العبارة التى قدر بها الأستاذ الدكتور طه حسين المستشرقين وأعمالهم: «كيف يتصور أستاذ للأدب العربى لا يلم بما انتهى إليه الفرنج المستشرقون من النتائج العلمية المختلفة، حين درسوا تاريخ الشرق وآدابه ولغاته؟ وإنما يلتمس العلم الآن عند هؤلاء الناس». (من كتاب «الأدب الجاهلى»، انظر مجلة العربى العدد ١٠٢، ص ١٤٤ و١٤٥ و١٤٦).

أما أعمال المستشرقين فى مجال الدراسات الإسلامية، فهى أعمال لها أهميتها الكبرى، ولكن المسلمين ينظرون إليها نظرة تختلف عن الأعمال التى ينشئها العلماء المسلمون، فالإسلام بالنسبة للمسلمين ليس علمًا فحسب، ولكنه قبل كل شيء آخر دين. ولا بدّ أن نسجل بالإنصاف جهود المستشرقين الجادين غير المغرضين حتى فى مجال الدراسات الإسلامية نفسها. ونحيل القارئ مرة ثانية إلى مجلة العربى السابق الإشارة إليها.

والرأى عندنا أن الأعمال الكبرى لكبار المستشرقين ينبغى أن تنقل بصفة منتظمة إلى اللغة العربية، حتى يفيد منها الباحثون. حقيقة أن عددًا من هذه الأعمال قد ترجم ونشر بالفعل، ولكن ما بذل فى هذا الميدان من جهد قليل. ويفيد الكتاب الذى نقدمه هنا فى التعريف بأعمال المستشرقين الألمان، ونحن بحاجة إلى كتب مماثلة تعرفنا بأعمال المستشرقين فى جامعات البلاد الأخرى فى شتى بلاد الدنيا.

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أسجل شكرى للأستاذ الدكتور رودى پارت على تفضله بمراجعة ترجمتى لكتابه، وعلى مقترحاته المتعددة التى أفدت منها.

وبعد انقضاء ما يقرب من نصف قرن على الترجمة التى صدرت فى القاهرة فى مايو ١٩٦٧ تناولتها هنا بالمراجعة والتصحيح والتجديد فى هذه الطبعة الجديدة المتقنة.

دكتور مصطفى ماهر

القاهرة: ٢٠١٠

مقدمة المؤلف

في صيف عام ١٩٣٠ أتيحت لى فرصة القيام من جامعة هايدلبرج، حيث كنت مضطلعًا بالدراسات الشرقية، لزيارة تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) فى مدينة كارلسروهه القريبة، لزيارة أستاذ الاستشراق الجليل الذى حظى بتقدير عالمى فى مادته.

كانت هذه الزيارة خبرة جد مؤثرة فى نفس الزائر الذى لم يكن قد بلغ الثلاثين من عمره بعد، والذى لم يكن قد بدأ إلا منذ قليل فى توسيع أفق علمه وتخصصه وفى انتهاج طريق علمية مستقلة لإنمائه، إذ أوقفته أمام عالم هرم بلغ من العمر أكثر من ثلاثة أضعاف ما بلغ هو، ومكّنته من التناقش معه فى أمور العلم. كان نولدكه آنذاك وهو فى الرابعة والتسعين يعانى طبعًا من طائفة من العلل الجسمانية، ولكنه كان من الناحية العقلية نشيطًا يقظًا على نحو يثير الدهشة، وكان يدخل عن طيب خاطر فى مناقشة موضوعات خارجة عن ميادين تخصصه واهتمامه ذاتها. وكان يضمر وراء كل كلمة من كلماته ذلك الضرب من

صفاء الفكر الإنسانى الذى يقنع المستمع إلى عَالِمٍ بصدقها منذ البداية.

لقد أحسست فى هذا اللقاء كأنى واحد من طلاب العلم خرج طلبًا للعلم، ليؤدى فروض الاحترام لشيخ ذائع الصيت، وليتصل عن طريقه بتقاليد العلم وتراثه صلة مباشرة شخصية.

بداية الاستشراق

كل مَن يشتغل بالاستشراق، حتى ولو بجزء صغير منه، يحس بالامتنان لتراث الاستشراق ويعترف بالشكر للجهود العلمية التى بذلها آخرون قبله، علماء فرادى، أو أجيال كاملة من العلماء. والميدان العلمى، الذى وهب أمثالنا أنفسهم له، ميدان يختص بعالم، لا نتصل نحن به بصلة الانتماء. وما كنا لننفذ إليه، إن لم نكن نحتكم بين أيدينا على مُعينات معينة تمكننا من توسيع آفاقنا ومن إلقاء نظرة إلى ذلك العالم الغريب علينا. ولو اقتصر أمر الصعوبات فى ذلك المسعى على الصعوبات اللغوية، لكفت عائقًا لا يقهر، إن لم تكن هذه المعينات بين أيدينا. فنحن بحاجة إلى كتب فى قواعد اللغة وإلى قواميس لنشق بها طريقنا إلى اللغة العربية واللغة الفارسية واللغة التركية، وهى لغات لم نلم بأدنى طرف منها فى المدارس. لم تنشأ كتب النحو والقواميس هذه مرة واحدة، بل جاءت ثمرة جهود مضنية بذلتها الأجيال المتعاقبة. وترتبط بصعوبة تعلم اللغات المشار إليها صعوبة أخرى؛ إذ ينبغى على طالب هذه اللغات أن يحاول أن يشق طريقه إلى التعرُّف على العالم الفكرى الذى تجسم فى التعبير الأدبى لهذه اللغات، وخاصة اللغة

العربية، والذى أصبح هذا التعبير الأدبى سجلاً له. ولا يمكن أن يتم هذا إلا بالاعتماد على كتب علمية قام بتأليفها علماء متخصصون سابقون استندوا فيها إلى أعمال مَن سبقوهم. وهكذا كلما نفذنا إلى المادة وتوغلنا فيها، تبيّنا بوضوح أكبر، أن كل عالم من العلماء يبنى على أساس من نتائج بحوث سلفه، يتبناها تارة، وتارة يكملها ويحسنها، وأن النتائج التى نتوصل نحن إليها، نتائج غير نهائية بل نتائج تنتظر أن يتجاوزها ما سيقوم به الجيل التالى من بحث (إن لم يكن الجيل نفسه). أو نوجز فنقول: إن كل شىء فى حركة متصلة: كل عالم يكمل البناء على أساس أرساه آخرون سبقوه. وعلم الاستشراق كما هو بين أيدينا اليوم نتيجة نشاط أجيال عديدة من العلماء.

ومع ذلك فلا بد أن الاستشراق قد بدأ بوصفه علمًا يومًا ما. فمتى كان ذلك؟ وما هى القوة الدافعة التى كمنت وراء ذلك؟

إذا نظر المرء إلى الوراء إلى تاريخ تطوّر الاستشراق ولم يتردّد فى التبسيط رغبة فى زيادة الوضوح، فإنه يستطيع أن يقول: إن بداية الدراسات العربية والإسلامية ترجع إلى القرن الثانى عشر. ففى عام ١١٤٣ تمت ترجمة القرآن لأول مرة إلى اللغة اللاتينية بتوجيه من الأب بيتروس فينيرابيليس رئيس دير كلونى، وكان ذلك على أرض إسبانية. وعلى الأرض الإسبانية وفى القرن الثانى عشر أيضًا نشأ أول قاموس لاتينى عربى. وفى القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر بذل رايموندوس لالوس ـ المولود فى جزيرة ميورقة ـ جهودًا كبيرة لإنشاء كراسى لتدريس اللغة العربية، وكان قد تعلم اللغة العربية على عبد عربى. وكان الهدف من هذه الجهود فى ذلك العصر وفى القرون التالية هو التبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى

الدين المسيحى. ويمكن الاطلاع على هذا الموضوع بتفصيلاته فى الكتاب الكبير الذى وضعه نورمن دانيل باسم «الإسلام والغرب» (١٩٦٠، الطبعة الثانية ١٩٦٢)[1]. كان موقف الغرب المسيحى فى العصر الوسيط من الإسلام، هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب. صحيحٌ أن العلماء ورجال اللاهوت فى العصر الوسيط كانوا يتصلون بالمصادر الأولى فى تعرُّفهم على الإسلام وكانوا يتصلون بها على نطاق كبير، ولكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعى نوعًا ما، كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل فى أن هذا الدين المعادى للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير. وهكذا كان الناس لا يولون تصديقهم إلا تلك المعلومات التى تتفق مع هذا الرأى المتخذ من قبل، وكانوا يتلقفون بنهَمٍ كل الأخبار التى تلوح لهم مسيئة إلى النبى العربى وإلى دين الإسلام.

وعلى هذا الاعتبار تختلف المراحل الأولى للدراسات العربية والإسلامية اختلافًا جوهريًا، عما نفهمه اليوم - أو على وجه أدق: منذ منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا - من هذين العلمين. فنحن، معشر المستشرقين، عندما نقوم اليوم بدراسات فى العلوم العربية والعلوم الإسلامية لا نقوم بها قط لكى نبرهن على ضعة العالم العربى الإسلامى، بل على العكس، نحن نبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذى يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة والذى عبّر عنه الأدب العربى كتابة. ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شىء ترويه المصادر على عواهنه دون أن نُعمل فيه النظر، بل نقيم وزنًا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخى أو يبدو كأنه يثبت أمامه. ونحن فى هذا نطبق على الإسلام وتاريخه،

(١) Norman Daniel, Islam and the West, 1960, 2. Aufl. 1963.

وعلى المؤلفات العربية التى نشتغل بها المعيار النقدى نفسه الذى نطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدوّنة لعالمنا نحن. وإذا كانت إمكانات معرفتنا محدودة ـ وهل يمكن أن تكون إلا كذلك؟ ـ فإننا نؤكد بضمير مطمئن أننا فى دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية، بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة. أما الرأى المضاد لذلك والذى نشره عالم الأزهر الأستاذ البهى فى كتيبه الذى صدر أخيرًا باسم «المبشرون والمستشرقون فى موقفهم من الإسلام»، فنحيط به علمًا ونحن هادئو البال (انظر مناقشة هذا الكتيب بقلم محمد يحيى هاشمى/ حلب فى: ("Die Welt des Islams", N. S. 8, 1962 - 63)).

استشراق - استغراب

الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة. وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذى أطلق عليه. كلمة استشراق مشتقة من كلمة «شرق». وكلمة شرق تعنى مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقى. والأمر إلى هذا الحد واضح كله. ولكن ما معنى كلمة شرق فى هذا المقام بالذات؟ الظاهر أن اسم الشرق تعرض لتغيير فى معناه، فالشرق بالقياس إلينا، نحن الألمان، يعنى العالم السلافى، العالم الواقع خلف الستار الحديدى. وهذه المنطقة تختص بها علميًا بحوث شرق أوروبا Osteuropaforschung أما الشرق الذى يختص به الاستشراق، فمكانه جغرافيًا فى الناحية الجنوبية الشرقية بالقياس إلينا. والمصطلح يرجع إلى العصر الوسيط، بل إلى العصور القديمة، إلى الوقت الذى كان فيه البحر المتوسط يقع كما قيل فى وسط العالم، وكانت الجهات الأصلية تتحدد بالنسبة إليه. فلما انتقل مركز ثقل الأحداث السياسية بعد ذلك من البحر المتوسط إلى الشمال بقى مصطلح الشرق رغم ذلك دالاً على الدول الواقعة شرق البحر المتوسط.

كـذلك تعـرّضت لفظة «الشـرق» فى أعـقـاب الفـتـوحـات العـربيـة الإسلامية لتغيير آخـر فى معناها، أو إذا شئنا دقة أكثر، تعرّضت لاتساع فى نطاق مدلولها. فقد انطلق الفاتحون فى ذلك الوقت من شبه الجزيرة العربيـة لا ناحيـة الشمـال والشـرق فحسب، بل ناحيـة الغـرب كـذلك، وزحفوا فى غضون عشرات من السنين إلى مصـر وشمـال أفريقيا حتى بلغوا المحيط الأطلسى. واستوطن الإسـلام قطاع بلدان شمـال أفريقيا دينا وتعـرب السكان تدريجيًا، وهـم الأقبـاط فى مصـر والبـربر غـربها. ومنذ ذلك الحين تعـتبـر مـصـر وبلدان شـمـال أفـريقـيـا ضـمن الشـرق، ويختص الاستشراق، وإن كان اسـمـه ـ الاستشـراق ـ يفترض أنه يختص بالبلدان الشرقية دون غيرها.

ومهما يكن من أمر، فإن الاسم لا يبيّن بوضوح مستقيم المقصود منه بالضبط، والمهم هو الموضوع ذاته. والموضـوع ذاته يفتح مجـالاً آخـر للتفكير.

الاستشراق فى المانيا حاليًا وفى العالم الأوروبى الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع. ولا حاجة بها. وإن قل عدد المشتغلين بها، إلى البرهنة على أنها مادة علمية جديرة بالوجود، فقد تم لها هذا، وتوشك أن تكون ممثلة فى كل جامعة من الجامعات بكرسى رسمى يشغله أستاذ، ثم هناك عدد عظيم من وظائف المدرسين والمعيدين فى تخصص الاستشراق، إلى جانب الأساتذة، ويعنى هذا أن الناشئة من المستشرقين يلقون ما يؤمن مستقبلهم من الناحية المالية نوعًا ما. ونحن جميعًا، المتمتعين بهذه النظم، نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً فى الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانيات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمى فى هذا

المضمار. ويسرنا أن نرى كل عام أفرادًا من الحاصلين على شهادة إتمام الدراسة الثانوية يدفعهم اهتمامهم بالمادة، وتحفزهم موهبتهم اللغوية إلى الاتجاه لدراسة العلوم العربية أو الإسلامية أو أى فرع من أفرع الاستشراق الأخرى، ويحدوهم الأمل فى أن يتمكنوا فى المستقبل بطريقة أو بأخرى من المشاركة فى هذه الدراسات مشاركة المنتجين. وما تطلبه الدولة والمجتمع منا، معشر المستشرقين، هو بصفة عامة العمل بوصفنا مدرسين وباحثين متخصصين. أما التصرُّف فى أمر الموضوعات الخاصة التى ينصب عليها الدرس والبحث فمتروك لنا، ونحن نعرف كيف نقدر هذه الحرية، ونبذل جهودنا لنرد على هذه الثقة التى حيينا بها، بالقيام بما يحققها من عمل مخلص ساع إلى الهدف المرجو فى مهنتنا. وعملنا على مستوى العلماء يسعى إلى هدف بعينه هو: اختراق الأفق الفكرى الذى تفرضه البيئة حولنا، وإلقاء نظرة إلى عالم الشرق، لكى نتعلم من الكيان الغريب علينا كيف نحسن فهم إمكانيات الوجود الإنسانى، وكيف نحسن بهذا فهم ذاتنا نحن فى نهاية المطاف.

ولا بأس من أن ننتهز هذه الفرصة فنثير سؤالاً، ولو من ناحية المبدأ، هو السؤال عن إمكانية أن ينشأ فى الناحية الأخرى، أى فى العالم العربى الإسلامى، اتجاه للبحث، شبيه بالدراسات الإسلامية عندنا، ولكن فى الوجهة المقابلة، يهدف إلى دراسة تاريخ الفكر فى العالم المسيحى الغربى وتحليله بطريقة علمية. ويمكن أن يطلق على مثل هذا الاتجاه فى البحث - إن أُخِذ مأخذ الجد وأُرسيَتْ له قواعده الثابتة بوصفه نظامًا - علم الغرب أو باختصار «الاستغراب» وقد دعا الدكتور محمد رحبار فى المؤتمر الإسلامى العالمى الذى انعقد فى

لاهور فى ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨، بحماس إلى هدف من هذا القبيل، ولكنه لقى معارضة شديدة. ولنترك هذه النقطة العويصة الحساسة وشأنها الآن، ونكتفى بتقرير أن الحكم الذى يكوِّنه الناس فى البيئات الإسلامية عن العالم المسيحى الغربى، حكم ما زال يشوبه - فى أغلبه - لون الدفع والمشاحنة الشديد، ثم بتقرير أن هناك أيضًا مسلمين مثقفين كثيرين يكنون للعالم المسيحى الغربى تقريرًا موضوعيًا. فلنأمل أن يكون اتجاه هؤلاء فى المستقبل مدرسة، وأن تنتشر بالتدريج صورة موضوعية لعالم الغرب بين الجماهير الواسعة للشعب وبين رجال الدين المسلمين وبين المتخصصين وغير المتخصصين؛ فإن هذا من شأنه أن يؤدى إلى تحقيق تفاهم أوسع بين العالمين، اللذين ظلا منذ فجر العصر الوسيط قرونًا طوالاً يقفان أحدهما من الآخر موقف العداء.

عصر التنوير وعصر الرومانتيكية

تطوّر الدراسات العربية

لم يتبع تطوُّر الاستشراق من مراحله الأولى فى العصر الوسيط إلى مرحلة التحوُّل النهائى إلى علم قائم على النقد التاريخى، طريقًا مباشرة مستقيمة، ولم يتم للاشتغال بالشرق وبمحمد وبالدين الذى نشره التحرُّر من طريقة البحث اللاهوتية المبنية على الدفع والمشاحنة إلا فى العصر الحديث وتدريجيًا. ولكن الجهود التى بذلت لإنصاف عالم الشرق ورسم صورة له مستمدة من المصادر تعرّضت من حين لآخر لاتجاهات اعترضت سبيلها، أو غطت عليها وأدت إلى تشويه صورته. كان من بين ممثلى حركة التنوير مَن رأوا فى النبى العربى أداة الله ومشرعًا حكيمًا ورسولاً للفضيلة وناطقًا بكلمة الدين الطبيعى الفطرى مبشرًا به. وصحب هذا الاتجاه تحمس رومانتيكى لكل ما هو شرقى، فلا عجب أن يكون لانطوان جالان (١٦٤٦ - ١٧١٥) تأثير بالغ الشدة على جماهير غفيرة من القراء بالترجمة الأولى التى انشأها لمجموعة القصص والحكايات العربية العظيمة «ألف ليلة وليلة» وجعلها مناسبة للذوق الفرنسى فى ذلك العصر. وقد أثرت على يوهان ڤولفجنج فون جوته، فى القرن التالى، تأثيرًا متنوع الجوانب، كما أثبتت كاتارينا مومزن أخيرًا

فى بحوثها التفصيلية. أما اللقاء المثمر بحق الذى تم لجوته مع الشرق، فيرجع إلى يوم اتصل بقصائد الشاعر الفارسى حافظ فى ترجمة هَمَر پورجْشْتّل. يقول جوته فى كلمة دوّنها بيومياته عام ١٨١٥: «كان لزامًا على أن أقف موقف المنتج، لأنى إن لم أفعل، ما كنت أستطيع أن أصمد أمامه، أمام هذه الظاهرة القوية، ولقد كان تأثيرها فى نفسى شديدًا حيًا، شدةً وحيويةً بالغتين. كانت الترجمة الألمانية بين يدى، وكان علىّ أن أجد فيها دافعًا يدفعنى إلى المشاركة فيها. وانطلق من وجدانى كل ما كان كامنًا أو معتملاً فيه أشياء تشبه المادة والمعانى التى اطلعت عليها، انطلق بدرجة من العنف شديدة جعلتنى أحس فى نفسى حاجة ملحة إلى أقصى حد تدفعنى إلى الهرب من العالم الواقعى الذى يتهدّد ذاته سرًا وجهرًا، الهرب إلى عالم خيالى يترك لرغبتى وقدرتى وإرادتى مهمة الاشتراك السعيد فيه». وكانت ثمرة هذا اللقاء ما نجده بين دفتى «الديوان الغربى الشرقى». هذا الكتاب الذى أحبه الكثيرون من مبجلى الشاعر العظيم واعتبروه ثمرة من أعظم الثمار وأثمنها، والتى جادت به قريحته المنوعة الجوانب. والمرء إذا اطلع على الجزء الذى ألحقه جوته بالديوان وأسماه «مذكرات ومقالات»، تبيّن كيف جمع جوته بهمة كل ما نمَا إلى خبرته من معلومات عن عالم الشرق، وكيف ناقشها ومحّصها بقوة. أما أن الديوان العربى الشرقى «يصح أن يسمى بالعهد الأعظم لبحوث الشرق» كما قال هانس هاينريش شيدر (١٨٩٦ ـ ١٩٥٧) فى كتابه «Goethes Erlebnis des Ostens»[١] مصطنعًا عبارة بلاغية، فأمر لا يوجد بالديوان ما يمكّن من استنتاجه. كان الدافع إلى إبداع الديوان هو النموذج الفارسى المتمثل فى الشاعر حافظ، ولكن الديوان رغم

---

(١) لايبتسج ١٩٣٨، انظر ص ٧٤. والنص الذى استشهدنا به قبل ذلك من الكتاب نفسه ص ١١.

تسميته بهذا الاسم الشرقى، لا يزيد ولا ينقص عن أن يكون حوارًا شعريًا لجوته مع نفسه، وليس له فى أساسه علاقة بالاستشراق. إذا أردنا أن ننسب شاعرًا ألمانيًا إلى الاستشراق، فالأمثل أن نذكر فريدرش روكرت (١٧٨٨ ـ ١٨٦٦)، الذى كان يجد القوافى الألمانية بسهولة فائقة، والذى ترجم تحت اسم Verwandlungen des Abu Seid von Serug مقامات الحريرى ترجمة أدبية أمينة أمانة تعطى للقارئ الألمانى انطباعًا مقابلاً لما يعطيه الأصل العربى من انطباع. لهذا فإن «Verwandlungen des Abu Seid von Serug» يعتبر بحق عيّنة من الأدب الألمانى الذى بلغ الكمال فى شكله، ويعتبر، إلى هذا، عملاً من أعمال الاستشراق.

قلنا: إن تطوُّر الاستشراق لم يتبع طريقًا مباشرة مستقيمة، ولم يتشكل بوصفه علمًا إلا عندما تأكد استعداد الناس للانصراف عن الآراء السبقية وعن كل لون من ألوان الانعكاس الذاتى، وللاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذى تحكمه نظمه الخاصة، وعندما اجتهدوا فى نقل صورة موضوعية له ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. وليس من الممكن تحديد الفترة التى بدأ فيها مثل هذا الاتجاه الجديد على وجه الدقة. فإذا وضعنا بقصد التبسيط «منتصف القرن التاسع عشر»، فإننا نعنى بهذا فقط أن الصفة العلمية بالمعنى الحديث ظهرت فى هذا الوقت على الاستشراق بوضوح أكثر من ذى قبل. ولكن النية المتجهة إلى فهم الموضوعات فهما موضوعيًا، كانت موجودة قبل ذلك بكثير، وجودًا يمكن إثباته بالأدلة والشواهد، وكانت أوضح ما تكون فى مجال الدراسات اللغوية، ودراسات اللغة العربية خاصة، بالمعنى الضيق لهذه الانطلاقة.

فقد كان تعلم اللغة العربية وتعليمها يقتصران على التمكن من وقائع مجرّدة خالصة، ولم يكن الاختلاف فى الأمور الدينية وما يتبعه من خطر تشويه المضمون يظهر، إلا بعد التمكُّن من اللغة، وانتهاج سبيلها إلى الثقافة العربية الإسلامية الغريبة المدوّنة. (وهذا هو السبب الذى يظل من أجله المستشرقون العاملون فى الصعيد اللغوى بمنأى عن هجوم الرأى العام العربى الإسلامى فى أيامنا هذه، فى حين أن المستشرقين العاملين فى صعيد الدراسات الإسلامية يُتَّهمون بسوء النية فى أحوال ليست بالنادرة». من أساتذة العربية الأول نذكر بالثناء: الهولندى توماس اربنيوس (١٥٨٤ ـ ١٦٢٤) الذى نشر فى عام ١٩١٣ كتابه Grammatica Arabica (= النحو العربى) وهو أول عرض منهجى للغة العربية الفصحى بقلم مؤلف أوروبى. وقد ظل هذا الكتاب طوال قرنين من الزمان يُعَدُّ الكتاب الأوحد لتعليم اللغة العربية، وتعددت طبعاته، وترجمه ى. د. ميشائيليس فى عام ١٧٧١ إلى اللغة الألمانية. أما العالم الفرنسى سيلفستر دى ساسى (١٧٥٨ ـ ١٨٣٨) فكان عالمًا رفيع القدر، وكان له تأثير يفوق تأثير اربنيوس بكثير، وكان يعمل منذ ١٧٩٥ أستاذًا للغة العربية فى المدرسة الخاصة للغات الشرقية الحية المنشأة حديثًا فى باريس. كان كتابه Grammaire arabe (= النحو العربى) وكتابه Chres-tomathie arabe (= منتخب من أدب العرب) الكتابين الأساسيين فى الدراسات العربية بالمنطقة الأوروبية كلها فى حياته وبعد مماته، وظلا كذلك عشرات السنين. كان سيلفستر دى ساسى، بالإضافة إلى ما قام به من نشريات، يعمل مدرسًا أولاً وقبل كل شىء، ويرجع إليه فضل تحول باريس إلى مركز الدراسات العربية، وكعبة أمّها

التلاميذ والعلماء من مختلف البلاد، ليتعلموا على يديه. ذهب إليه من ألمانيا، على سبيل المثال لا الحصر، جيورج فيلهلم فرايتاج (١٧٨٨ - ١٨٦١) مؤلف Lexicon Arabico- Latinum (= المعجم العربى اللاتينى) الذى لا يزال يستعمل إلى اليوم، وجوستاف فلوجل (١٨٠٢ - ١٨٧٠) الذى نشر القرآن. ونشر فهرسًا لآيات القرآن، وكتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب كشف الظنون لحاجى خليفة، وهاينرش ليبرشت فلايشر (١٨٠١ - ١٨٨٨) الذى نقل فرعًا من شجرة مدرسة العربية الباريسية إلى لايبتسج. واشتهر فلايشر بملاحظاته النقدية وإضافاته التى كان يخص بها المؤلفات التى ظهرت فى موضوعات الدراسات العربية، وكان له فى ذلك المضمار فضل كبير، فأخرج مقالاته Beiträge zur arabischen Sprachkunde (= مقالات فى علم اللغة العربية) التى تدور حول كتاب النحو العربى لدى ساسى، وأخرج دراسات تتعلق بمصنف دوزى المسمى Supplément aux dictionnaires arabes (= ملحق للقواميس العربية). هذه المقالات وغيرها من المقالات التى جاد بها يراعه فى ميدان الدراسات العربية والتى تكون ثلاثة مجلدات من «المقالات الصغيرة» سيعاد طبعها قريبًا، مما يدل على مدى الأهمية التى ما زالت تتسم بها إلى اليوم. كذلك أخرج طبعة دقيقة من تفسير البيضاوى، ما زالت تستعمل إلى يومنا هذا. هذا إلى أن فلايشر قام بعمل تنظيمى مشكور إذ اشترك اشتراكًا حاسمًا فى تنظيم المستشرقين الألمان عام ١٨٤٥ فى «الجمعية الشرقية الألمانية»، تلك الجمعية العلمية التى أصدرت مجلة باسمها، اكتمل لها الآن ١١٥ عددًا كما أصدرت «دراسات فى علم الاستشراق» وأثرت فى عصرنا الحاضر

تأثيرًا خصبًا هائلاً، حتى إنه لا يمكن الآن تصوُّر تاريخ الاستشراق فى ألمانيا بدونها. وكان فلايشر، كما كان دى ساسِّى من قبله، أستاذًا جامعيًا أولاً وقبل كل شىء آخر. فلما مات نهض بتراث المدرسة العربية بلايبتسج ألبرت زوتسين (١٨٤٤ ـ ١٨٩٩) ـ ثم أوجُست فيشر (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩)، وكان أوجست فيشر تلميذًا لهاينرش توربيكه (١٨٣٧ ـ ١٨٩٠) الذى مات مبكرًا وكان فى زمانه تلميذًا لفلايشر[١].

---

(١) التاريخ المكتوب بعد اسم احد المؤلفين هو تاريخ ميلاده إذا كان على قيد الحياة، أو تاريخ ميلاده ثم وفاته إذا لم يكن على قيد الحياة. أما التاريخ المكتوب بعد عناوين الكتب فهو تاريخ صدورها. (مترجم)

■ الدراسات الإسلامية علمٌ تاريخى

البداية

يرتبط الإسلام بالعروبة بعلاقة تبادل فريدة. كان العرب يعيشون منذ قرون طويلة فى بوادى شبه الجزيرة وواحاتها التى سميت نسبة إليهم يعيثون فيها فسادًا - على حد حكم سكان البلاد المتحضّرة المتاخمة - حتى أتى محمد ودعاهم إلى الإيمان بإله واحد خالق بارئ، وجمعهم فى كيان واحد متجانس. كان الشعر العربى قد أثمر أكرم ثماره، عندما انطلقت نغمات آيات القرآن وسوره لأول مرة فى مكة، وهو أقدم أعمال الثقافة الإسلامية العربية الخاصة المدوّنة. ولكن العالم الواسع المترامى الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحوّلوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية ويصبحوا بذلك ذوى أهمية - إن صح هذا التعبير - ولو لم يتلقف الناس القصائد العربية القديمة متأخرًا لتكون شواهد على لغة القرآن المقدسة - لانتقلت هذه القصائد بالرواية إلى أنحاء البادية ثم لهوت إلى هوة النسيان ولما أصابت الشهرة التى أصابتها اليوم. لهذا كانت ظاهرة الإسلام ظاهرة تلقى أسبقية وأفضلية فى ميدان البحوث الاستشراقية، أو على الأدق فى ميدان البحوث العربية الإسلامية. ولهذا أيضًا كان لزامًا علينا أن

نتعرّض أولاً فى إطار أوسع لتطوُّر الدراسات الإسلامية وحدها فى عصر نولدكه وفى الفترة التالية له. ولن ننظر فى هذا المقام - على الأقل مؤقتًا - إلى الدراسات المتعلقة بالآداب، والتى لا تعالج موضوعات دينية خاصة، ولا إلى الدراسات المتعلقة بالشعر العربى القديم، ولا ينبغى أن نغفل مع ذلك أن هذه الدراسات كانت تلقى الاهتمام والعناية فى الوقت نفسه، بل إنها كانت فى أحيان كثيرة تلقى الاهتمام والعناية من العلماء أنفسهم. ويكفى أن نشير إلى نولدكه الذى نشط فى ميدان الدراسات الإسلامية، ونشط فى الوقت نفسه فى ميدان الدراسات الدائرة حول الشعر العربى القديم.

وفى الأعوام ١٨٣٢ و١٨٤٣ و١٨٤٤ ظهرت مؤلفاتٌ فتحت، كل على طريقته، آفاق العصر الحديث فى البحث التاريخى النقدى الذى تناول محمد وبداية الإسلام، من هذه المؤلفات: «النبى محمد، حياته وتعاليمه»، و«مدخل تاريخى نقدى إلى القرآن» لجوستاف ڤايل (١٨٠٨ - ١٨٨٩) كان هذا الكاتب من أصل يهودى، تَرَبَّى تربية تلمودية، ثم درس بالجامعات الألمانية وعرف المنهج التاريخى. ويمتاز كتابا جوستاف ڤايل بأنهما من ناحية الموضوع أكثر شمولاً. وكتاب السيرة خاصة يستحق أن يعتبر فاتحة عصر جديد. فإذا كان الكتابان لا يجدان اليوم قراء يحفلون بهما، فمرد ذلك إلى أن البحث فى حياة محمد قد تقدم فى هذه الأثناء وظهرت نتائجه فى منشورات حديثة قريبة المنال. وقد استعمل ڤايل فى سيرته كل المصادر التى أمكنه الوصول إليها بكل الطرق، ورحل خاصة إلى مدينة جوتا ليبحث فى المكتبة الأميرية بها عن مخطوطات تختص بموضوعه، ووجد كتاب ديار بكرى المسمى «تاريخ الخميس فى أحوال أنفس نفيس»، والسيرة الحلبية، وهما كتابان نشآ فى القرن السادس

عشر والسابع عشر، ولكنهما مع ذلك يحتويان على كثير من المواد القديمة الصادرة عن المنابع الأولى. كذلك وضع تحت تصرفه كتاب السيرة المحمدية الشهير، الذى لم يكن قد طبع بعد، «سيرة ابن هشام». (وقد نهض بنشر سيرة ابن هشام المستشرق فرديناند ڤوستنفيلد بين عام ١٨٥٨ وعام ١٨٦٠، وفى عام ١٩٦٤ نشر ڤايل نفسه ترجمة كاملة لها). أما كتابه «مدخل إلى القرآن» فقد قسم فيه السور المكية لأول مرة إلى ثلاث مجموعات، تقسيمًا أخذ به نولدكه فيما بعد. وقد أتبع ڤايل كتابه «محمد النبى» بعد ذلك بكتاب فى ثلاثة مجلدات هو «تاريخ الخلفاء»، أكمله بـ «تاريخ الخلافة العباسية فى مصر». وفى هذه المصنفات كذلك استخدم المصادر الأولى بعد تمحيص مادتها وتقديرها قدرها على نحو استقلالى.

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى مؤلف هام هو كتاب تاريخى مثير للجدل بطبيعته، اسمه «حياة محمد وتعاليمه حسب مصادر لم تستخدم غالبيتها إلى الآن»، من تأليف الوييس شپرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣)، ظهر فى ثلاثة مجلدات من عام ١٨٦١ إلى ١٨٦٥ فى برلين، ثم أعيد طبعه عام ١٨٦٩. (وكان الجزء الأول من الكتاب قد ظهر بالإنجليزية فى الله آباد بالهند). كان الوييس شپرنجر من منطقة التيرول أصلاً، وكان رجلاً نشيط الفكر، بعيد الترحال، لا يكل فى الإنتاج ولا يمل، وأوتى حظًا عظيمًا مكّنه من تنفيذ برنامج للعمل خطه لنفسه فى شبابه، نصَّ على تكريس نفسه للدراسات الآسيوية كلية وزيارة الشرق، والإسهام فى إدخال الثقافة الأوروبية هناك، والعودة إلى أوروبا بمعرفة صحيحة بالشرق وآدابه». وظل مدة تزيد على ١٢ عامًا مقيمًا بالهند عاملاً فى ميادين التعليم والمكتبات والثقافة العامة، وانتهز الفرصة فوسع اطلاعه

فى الثقافة الإسلامية المدوّنة وعرف ما كتب عن التاريخ العربى الإسلامى والتاريخ الهندى الإسلامى، فدفع ما دفع إلى المطبعة وجمع لنفسه ما استطاع إلى جمعه سبيلاً. وهكذا خرجت بإشارة منه طبعة «فهرست كتب الشيعة» للطوسى، وطبعة «الإتقان» للسيوطى، فى سلسلة «المكتبة الهندية» Bibliotheca Indica كذلك كانت له يد فى إخراج «ف. ن. ليس» لطبعة كشاف الزمخشرى، وفى إخراج «ا. فون كريمر» لطبعة (عبارة عن مقتطفات) من كتاب المغازى للواقدى. وقد اكتسب شپرنجر علمًا واسعًا غير مألوف فى عصره بأعمال أدب العصر الإسلامى المبكر، وكان يمتلك مخطوطات من سيرة ابن هشام وتفسيرها السواحيلى، ومن أجزاء من حوليات الطبرى، وقد عثر على الجزء الأول من كتاب الطبقات لابن سعد فى مكتبة خاصة فى كاونبور، وعثر على أجزاء أخرى من الكتاب فى دمشق. وكان على الأقل يعرف موطأ مالك، والصحيحين للبخارى ومسلم، ومجموعات الحديث الأربع المشهورة الأخرى، واستيعاب ابن عبد البر، وإصابة ابن حجر، وتاريخ ابن الأثير. ولما عاد شپرنجر عام ١٨٥٦ نهائيًا إلى أوروبا، أحضر معه مجموعة من الكتب تقرب من ٢٠٠٠ مجلد، بينها ١١٠٠ مخطوط عربى، انتقلت ملكيتها بعد ذلك بقليل إلى مكتبة برلين. (وتقوم مكتبة جامعة توبنجن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بالإشراف عليها والعناية بها، وباب الاطلاع عليها مفتوح للطالبين والراغبين).

وكان المتوقع أن يتمكن شپرنجر بما بين يديه من مصادر كثيرة كثرةً كبيرة، من كتابة سيرة لمحمد لا تدع مجالاً للنقد أو المؤاخذة، ولكن السيرة التى ألفها خيَّبت الظنون فى أكثر من ناحية ولم ترع شروط التقرير العلمى ومتطلباته. فقد ضلله اتجاهه إلى النظر إلى الإسلام

باعتباره وليد روح عصره، وحمله على التقليل من شأن شخصية النبى ومن أهمية جهوده التاريخية. واستنتج من تقرير هو فى ذاته تقرير صحيح، خلاصته أن الأخبار التى وصلتنا عن النبى محمد، مصدرها رجال كانوا يبجلونه، استنتج من ذلك أنَّ «على كاتب السيرة أن يلعب دور محامى الخصم البغيض وأن يستخرج مثالب شخصيته من بين المديح الذى يحيط بها». وانتهز كل فرصة ليلفت النظر إلى نواحى الضعف الإنسانية فى محمد. ولكن سيرة شبرنجر رغم ما فيها من ألوان النقص هذه، تعتبر جهدًا مهمًا، لا لأنها أثرت على الصورة التى ظل الناس فى البيئات المثقفة فى ألمانيا عشرات السنين يكونونها عن الإسلام فحسب، ولكن لأنها تمثل أيضًا محاولة ناجحة ـ على الأقل من الناحية الشكلية ـ لصب معلومات مفصلة مستقاة مباشرة من المنابع فى قالب جامع ضخم ولتقديمها إلى جمهور واسع من القراء. كذلك كان مهتمًا بتتبع الأثر العظيم الذى كان للظروف الثقافية النابعة من الإسلام على أوروبا فى العصر الوسيط، وكان حريصًا على فتح أعين مجتمعه عليه وتنبيهه إليه. وكان يرى أن الناس «أفردوا لمعرفة الثقافة الكلاسيكية القديمة اهتمامًا كبيرًا جدًا ولمعرفة الشرق اهتمامًا صغيرًا جدًا». وكان علاوة على ذلك يريد «تحت تأثير فلسفة عقلية للتاريخ أن يتبيّن قوانين تاريخية عامة وأن يفرق بين العوامل الثابتة والعوامل المتغيرة فى التاريخ»، وكان يعلن فخورًا أنه بالسعى إلى هذا الهدف ينضم إلى مدرسة ابن خلدون.

الفريد فون كريمر وتيودور نولدكه ويوليوس فيلهاوزن

إذا كان لنا أن نقول عن شپرنجر أنه تأمل فى الإسلام من أوجه نظر تاريخ الثقافة خاصة، فإن هذا القول ينطبق بالأحرى على مواطنه

النمساوى ألفريد فون كريمر (١٨٢٨ ـ ١٨٨٩). قام ألفريد كريمر خلال عمله فى السلك القنصلى وخلال الاستعداد له برحلات كثيرة إلى تركيا وسوريا ومصر وعرف الشرق هو أيضًا معرفة دقيقة عن روية بالعين. ويبدو أن الخبرة العملية بالشرق أيقظت فى نَفْسَىْ شپرنجر وكريمر الحاجة إلى تتبع جهود الثقافة الإسلامية فى العصر الوسيط التى ما زالت موجودة فى الشرق المعاصر مضمحلة حقًا، ولكن واضحة أمام النظرة المتعرفة، فى كثير من جوانبها، وإلى كشف خطوط الصلة التى تؤدى إلى عالم الغرب. يذكر ألفريد فون كريمر عن نفسه أنه تعلم كيف يفهم «أن الإسلام فى العصر الحاضر لا يمكن الحكم عليه حكمًا صائبًا إلا إذا ربط بمجموع التاريخ الثقافى للشعب العربى، ذلك التاريخ الثقافى الذى نرى آخر صورة من صور تطوره فى الشرق الحديث». ولم يرد «البقاء فى الدائرة الضيقة للثقافة العربية حتى لا يأخذ طائفة من الأفكار والتطورات على أنها عامة شاملة، وهى فى حقيقتها مقصورة على جزء صغير من الإنسانية». فقد برز فى وجدانه فى أثناء دراساته الاقتناع الملح، بأن «هناك فى الإسلام كذلك آراء مسيطرة يمكن التعرُّف عليها بكل تأكيد، أثرت على تاريخ الأمم تأثيرًا هائلاً».

وظهرت العيِّنة الأولى من حصيلة اشتغال كريمر بالمسائل المتصلة بتاريخ الثقافة وعلم الاجتماع فى عام ١٨٥٩، متمثلة فى دراسة مستفيضة عن «ابن خلدون وتاريخه الثقافى للدول الإسلامية». وتوالت ذلك فى الأعوام ١٨٦٨ و١٨٧٥ و١٨٧٧ أعماله الرئيسة فى تاريخ الثقافة: «تاريخ الأفكار السائدة فى الإسلام. مفهوم الله، النبوة، فكرة الدولة»، ثم كتاب «تاريخ ثقافة الشرق تحت حكم الخلفاء» فى مجلدين. وقد وجه

البعض إلى «تاريخ الأفكار السائدة» نقدًا يتلخص فى أنه أسرف فى تضييق إطار النظرة الشاملة لتطوُّر الثقافة الإسلامية فى مجموعها، وفى أنه معيب من ناحية الخطة. ولكن الكتاب فى مجموعه يُعَدُّ جهدًا عظيمًا، ويعج بالملاحظات الهامة والأحكام الصائبة على أشكال التنظيم فى الدولة وعلى تطوُّر الدين الإسلامى، والتصوُّف الإسلامى الذى لا يغفله بل يوليه ما يستحق من التكريم. ويتم استعراض هذه الأمور كلها من مرصد الحاضر، لهذا تلوح بعض مراحل التطور القديمة أحيانًا مسرفة فى القصر إذا ما أحاطت بها نظرة شاملة. ويعالج الجزء الأول من كتاب «تاريخ ثقافة الشرق تحت حكم الخلفاء» نظم الدولة تحت العناوين الآتية: نشأة الخلافة، حياة المدينة، نظام الدولة فى العصر القبلى، دمشق وبلاط الأمويين، توطيد كيان الدولة، الحرب، المالية، البنيان العضوى للدولة، القضاء. أما الجزء الثانى فيضم الفصول الثقافية الآتية: مدينة السلام (بغداد)، الزواج والأسرة، الشعب، الطبقات وحياتها، الخلق الشعبى، التجارة والحرف، الشعر، العلم والأدب، أسباب التدهور. والكتاب مكتوب بطريقة سلسة، ويضم كثيرًا من النصوص المستمدة من المصادر المناسبة والتى تجعل القراءة مسلية حقًا.

يأتى تيودور نولدكه (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠) فى هذا الموضع حسب الترتيب الزمنى. لم يكن لنولدكه ما لرجال غيره مثل شپرنجر وكريمر من موهبة التأمل الفلسفى، بل كان يهتم أول ما يهتم بفهم الوقائع وتحليلها، وقد ذكر عن نفسه أنه يتبع المدرسة العقلية، ويصح أن نقول عنه: إنه كان يتبع الوضعية. وهو فى كل نشرياته يعالج الأمور كلها على نحو موضوعى خالص يلتزمه أشد الالتزام، ويعبر عما يريد بعبارات واضحة، وإذا حدَّث بشىء صدق وأخلص. فإذا صادف أمرًا لم يكن متأكدًا منه، أبان عن

ذلك، أو تركه كليةً دون أن يقول فيه رأيًا. فما ضل قط من انضوى لقيادته العلمية.

ونشرياته الكثيرة لا تمس تاريخ الإسلام إلا فى جزء قليل منها هو الذى يعنينا هنا. فقد اضطلع بالجزء الخاص بالساسانيين عند إخراج طبعة ليدن النموذجية لتاريخ الطبرى، وكان الوحيد بين المشتركين فى هذا العمل الجماعى العظيم الذى أتبع جزءه بترجمة ألمانية هى (تاريخ الفرس والعرب فى عصر الساسانيين، عام ١٨٧٩) كذلك نشر فى الكتاب الجامع المسمى «صور شرقية» (١٨٩٢) مقالتين، واحدة عن الخليفة المنصور والأخرى عن ثورة العبيد فى السنوات من ٨٦٩ إلى ٨٨٣. أما كتابه الصغير «حياة محمد، عرض مبسط لها مستمد من المصادر» (١٨٦٣) فيتميّز بحكم موضوعى هادئ على شخصية النبى العربى، تلك الشخصية التى تلوح للمتبع مذهب العقلية ذات ألغاز على نحو خاص. ويتميّز علاوة على ذلك بأنه مثل نموذجى لما ينبغى أن يكون عليه عرض تاريخى علمى معتمد على المصادر وفى متناول فهم عامة القراء. على أن أهم كتاب لنولدكه فى ميدان البحث فى الدراسات الإسلامية هو بلا شك كتابه «تاريخ القرآن» الذى يدور حول موضوع كان قد نوّه إليه فى رسالة الدكتوراه، تلك التى حصل بها على جائزة، ثم تناوله مرة أخرى بنجاح لنيل جائزة أعلن عنها «مجمع الكتابات والآداب» فى باريس. وفى عام ١٨٦٠ ظهر الكتاب فى صيغته الألمانية، ثم ظهرت الطبعة الثانية منها وقد زيدت إلى ثلاثة مجلدات فى عام ١٩٠٩ و١٩١٩ و١٩٣٨، ونهض بتعديل الجزءين الأولين المستشرق فريدرش شفاللى، فلما مات قام جوتهلف برجشتريسر بالعمل فى الجزء الثالث، ولكنه مات قبل أن يفرغ منه، فأكمله أوتو پرتسل وأخرجه (تاريخ نص القرآن).

وبهذا تم الكتاب. ولقد أصبح «تاريخ القرآن» منذ زمن طويل كتابًا أساسيًا من كتب هذا الفرع من التخصص، ولا يحتاج لتبجيل أو تكريم أكثر من هذا. ولقد لقى تقسيم نولدكه (متأثرًا جوستاف ڤايل) لسور القرآن زمنيًا إلى ثلاث فترات مكية وفترة مدنية استحسانًا عامًا. ولا تمس الشكوك التى أثارها ريتشارد بل («مقدمة القرآن» ١٩٥٣) ضد هذا التقسيم، بوصفه تقسيمًا. ويحدد الكتاب ميزات كل مجموعة من مجموعات السور من ناحية الأسلوب والمضمون تحديدًا ممتازًا. ويعطى المجلد الثانى من الكتاب كل ما يتطلبه الباحث من مؤلف علمى بهذا الحجم فى موضوع جمع القرآن والمسائل المتصلة بذلك. وينطبق هذا الكلام أيضًا على المجلد الثالث الذى يعالج تاريخ النص القرآنى. وعلى مَن يريد الاشتغال علميًا بالقرآن على أى نحو، أن يعتمد كتاب نولدكه «تاريخ القرآن»، ذلك الكتاب الذى سيظل حافظًا لقيمته على مرّ الأيام. ويكتمل هذا الكتاب بتكملة قيمة من إنشاء نولدكه هى دراسته «فى لغة القرآن» (التى نشرت فى مجموعة «مقالات جديدة فى علم اللغات السامية» ١٩١٠) التى تضم الأجزاء الآتية: «القرآن والعربية»، «خصائص أسلوبية وخصائص تكوين الجمل فى لغة القرآن» و«كلمات أجنبية مستعملة عن عمد وغير عمد فى القرآن».

أما يوليوس ڤيلهاوزن (١٨٤٤ ـ ١٩١٨) فقد صنع لنفسه اسمًا فى علوم التوراة بنقد لأسفار التوراة الخمسة، قبل أن يوجه اهتمامه التاريخى وجهده المثمر إلى عالم الإسلام المبكر والعروبة القديمة. فنشر «محمد فى المدينة أو كتاب المغازى للواقدى فى ترجمة ألمانية ملخصة» (١٨٨٢) الذى عرَّف العلم المتخصص بكتاب هام لم يكن يعرفه إلا من طبعة أ. فون كريمر بقدر الثلث وعلى نحو معيب. ولا شك أن هذه

الترجمة الألمانية الملخصة ستظل تستعمل فى المستقبل كثيرًا، حتى بعد أن يظهر النص الكامل قريبًا فى طبعة محققة يصح الإسناد إليها. على أن طريقة ڤيلهاوزن المميزة له فى العمل والتى تربط ربطًا منسجمًا بين تحليل ونقد المصادر وبين التركيب التاريخى العظيم، لم تبدأ فى الظهور إلا فى الكتب التالية: «آثار من الجاهلية العربية» (١٨٨٧، الطبعة الثانية ١٨٩٧)، وفى الوقت نفسه إعادة بناء لكتاب الأصنام لابن الكلبى، ثم كتاب «المدينة قبل الإسلام» و«تنظيم محمد للجماعة فى المدينة» و«كتب محمد والسفارات التى وجهت إليه» (١٨٨٩) و«مقدمة للتاريخ الإسلامى الأقدم» (١٨٨٩). أما دراسته المقدَّمة لأكاديمية جوتنجن المسماة «أحزاب المعارضة الدينية السياسية فى عصور الإسلام القديمة» (١٩٠١) فتظهر لنا فيها خاصة طائفة الخوارج، أولئك المتعصبين للديمقراطية الراديكالية المسرفة فى عصور الإسلام المبكرة، حية أمام أعيننا، تثير الفزع فينا والإعجاب فى وقت معًا، حتى يكاد الإنسان يقول: إن ڤيلهاوزن أدركهم ومال إلى صفهم، وما حديثه إلا استقاء من المصادر وإعادة بناء لمادتها بفهم حاد صائب. وكتاب ڤيلهاوزن «الدولة العربية وسقوطها» (١٩٠٢) كتاب هائل من الناحية العلمية ومن الناحية الفنية، وعمل يعتمد على تحليل نقدى للمصادر المتمثلة فى الفقرات المطلوبة من تاريخ الطبرى، وعرض للتاريخ السياسى للإسلام حتى سقوط الأسرة الأموية يأخذ بمجامع قلوب القراء. ولو اقتصر ما وصلنا من إنشائه على هذا الكتاب وحده، لحق علينا أن نعده من أجَلِّهِ أهم مؤرخ كتب عن تاريخ الإسلام إطلاقًا. كان ڤيلهاوزن، كما قال كارل هاينريش بيكر فى ذكراه فأصاب: لا يتجه إلى المادة بالتساؤلات، ولكنه كان يدع التساؤلات تفرض نفسها من روح

المصدر نفسه: وكان يفوق كل مَن سبقوه فى أنه يرى المصدر بوصفه كلاً متكاملاً، ولذلك وقف حيال المدونات الفنية عظيمًا رفيعًا. وكان فى إحساسه بأنه ينبغى تجديد كل شىء من أساسه، لا يجد ضرورة ملحة فى الإحاطة بكل شىء علمًا وفى مناقشته وتمحيصه. ومن البديهى أن ڤيلهاوزن لم يقل فى الأمور كلها الكلمة الأخيرة، وقد تعرّض النقد الذى وجهه إلى تصوير أهل البلاد لطريقة فرض الضرائب، تعرض حديثًا للشك وبحق. ولكن «الدولة العربية وسقوطها» كتاب سيظل مع هذا - حتى إذا ظهرت به أخطاء أخرى من هذا القبيل - تحفة رائعة.

استقلال علم الدراسات الإسلامية على يد مارتن هارتمن وكارل هاينرش بيكر

يشعر المرء دائمًا فى محاولته تقدير جهود الاستشراق الألمانى منذ عهد تيودور نولدكه، بأن العلماء الألمان الذين عملوا فى هذا الصعيد لم يكونوا قط مستقلين استقلالاً ذاتيًا وبأن أمرهم فى هذا يشبه أمر أقرانهم من الأمم الأخرى. ذلك أن الاستشراق مسألة عالمية، مسألة تهم أوروبا بأسرها. لهذا كان من التعسُّف حيال الموضوع، أن يظن المرء أن فى إمكانه أن يعالج جهود الألمان على أنها مطلقة، وأن يفصلها عن ارتباطها بالأوشاج والأربطة العالمية. فإن جهود الألمان ليست فى الحقيقة إلا سهمًا، مهما ارتفع الإنسان فى تقديرها وعلا من ناحية الكيف. ونحن - معشر المستشرقين الألمان - نتبع بصفتنا هذه جماعة كبيرة ونعلم أننا لا نقوم إلا بها. وإذا أخذنا فى اعتبارنا أن مجال البحث الذى يفتحه الاستشراق مجال فسيح كثير الجوانب، تبيّنا أن العاملين به فعلاً قليلون عددًا. وهذا وحده يكفى سببًا لكى يتجمعوا ويتعاونوا

ويتجنبوا ازدواج العمل ما أمكن ذلك حسب ما يقضى به اقتصاد القوى. وكثيرًا ما يكون للمستشرق الفرد بزملائه الأجانب علاقات أوثق من علاقاته بالمستشرقين من أهل بلده، ويعرف كيف يقدر شاكرًا ما يأتيه التبادل معهم من تشجيع علمى ونفع.

هذا ما ينبغى أن نفكر فيه عندما نتعرّض فيما يلى لاثنين من المستشرقين من غير الألمان، هما: إجناتس جولدتسيهر وكرستيان سنوك هورجرونيه، أثرا فى تطور الاستشراق الألمانى تأثيرًا كبيرًا جدًا، حتى إنه لا يمكن تصوُّر تاريخه بدونهما.

إجناتس جولدتسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١) يهودى مجرى درس فى برلين ولايبتسج وحصل على الدكتوراه فى لايبتسج على يد فلايشر، ثم اتجه إلى الدراسات الإسلامية بمجالها الواسع الشامل، وخص ببحوثه النقدية تاريخ الشريعة الإسلامية ونشأة الحديث وتطوره خاصة. فى كتابه «الظاهريون .. مذهبهم وتاريخهم». (١٨٨٤) أنشأ مدخلاً إلى طريقة دراسة علم الشريعة الإسلامية معتمدًا مثال مدرسة واحدة من مدارسها. والمجلد الأول من كتابه «دراسات إسلامية» (١٨٨٩ ـ ١٨٩٠) يضم بحوثًا مختلفة تتصل بالعروبة وعلاقتها بالدين الإسلامى، والمجلد الثانى يضم بحثًا هامًا عن تطوُّر الحديث، وبحثًا آخر عن تبجيل الأولياء فى الإسلام. ويشك جولدتسيهر بأبحاثه النقدية فى القيمة الخبرية الأولية للحديث أساسًا، ولكنه يرفع قيمته الخبرية الثانوية بوصفه شاهدًا على التطوُّر الدينى والاجتماعى للإسلام فى القرنين الأولين لوجوده بقدر تشككه الأول. وتعالج مجموعته «محاضرات عن الإسلام» (١٩١٠، الطبعة الثانية ١٩٢٥) الموضوعات الآتية: محمد والإسلام، تطور القانون، النسكية والصوفية، الطوائف، تشكيلات متأخرة. وينبغى أن نشير بعد هذا إلى

إخراجه وإعداده لكتاب الغزالى «فضائح الباطنية» (١٩١٦) وإلى كتابه العظيم الأخير «اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين» (١٩٢٠). هذه الكتب كلها تدخل فى عداد المؤلفات التى لا غنى لمكتبة الدراسات الإسلامية عنها إلى اليوم.

وبينما كان جولدتسيهر عالمًا نظريًا بحتًا، وكان فى أبحاثه يستند إلى ذاكرة فائقة، ويسير حسب مصادر مناسبة فحسب، متنقلاً من استشهاد إلى استشهاد، كان زميله فى الاستشراق وصديقه العالم الهولندى كرستيان سنوك هورجرونيه (١٨٥٧ ـ ١٩٣٦) رجلاً يستند إلى خبرته العملية بالشرق. وقد قام فى رسالته «العيد المكى» (١٨٨٠) ـ تلك الرسالة التى لم تفقد قيمتها إلى اليوم ـ بفحص ناقد للتصريحات القرآنية الخاصة بإبراهيم واعتباره الأب الأول للإسلام ومنشئ الكعبة. وقد أقام كرستيان سنوك هورجرونيه ـ استعدادًا للعمل فى خدمة الاستعمار ـ نصف عام متخفيًا، ١٨٨٥، بين المسلمين فى مكة، ووضع فى كتابه «مكة» الذى أصدره باللغة الألمانية فى جزءين (١٨٨٨ ـ ١٨٨٩) النتائج العلمية لمهمته الفريدة تلك. وشغل بعد ذلك مناصب قيادية فى السلطة الاستعمارية الهولندية الهندية، وأوتى بذلك فيما أوتى فرصة معرفة العرف السائر بين المسلمين هناك معرفة وثيقة. وتتضمن مقالاته «الصغيرة» ـ التى تعالج موضوعات متنوعة من بينها ما يتخذ شكل مناقشات نقدية للكتب ـ مادة قيّمة فى الدراسات الإسلامية، وقد نشرت هذه المقالات الصغيرة بعناية أ. ى. فنسنك ١٩٢٣ ـ ١٩٢٧ فى ستة ثم سبعة مجلدات. ولسنوك هورجرونيه مقال واراه النسيان وإنْ ظل جديرًا بالاهتمام، مقال عن الإسلام اشترك به فى الطبعة الرابعة من كتاب شانتيبى دى لاسوسى المسمى «كتاب تعليم تاريخ الأديان» (١٩٢٥)

وكان كرستيان سنوك هورجرونيه متضلعًا من الفقه خاصة، ويجيد تاريخ الشريعة وتاريخ القانون الوضعى جميعًا، وكان نقده الذى كثيرًا ما اتسم بالحدّة نقدًا مثمرًا دائمًا.

تقدّمت الدراسات الإسلامية فى طريق تحولها إلى علم مستقل فى الصعيد الناطق بالألمانية تقدمًا كبيرًا بفضل جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه من ناحية وبفضل مبادرة ذاتية من ناحية ثانية. وقد أدى حصول الرايخ الألمانى فى عامى ١٨٨٥ ـ ١٨٨٦ على مستعمرات فى أفريقيا تضم مناطق بعض سكانها من المسلمين (كانت ألمانيا منذ ذلك الوقت وحتى عام ١٩١٨ تُعَدُّ من الدول المستعمِرة) إلى إمداد الاشتغال بالإسلام وبالكتب الإسلامية المدوّنة بالعربية بحافز معيّن فى ذلك الوقت، فتأسس طبقًا لهذه النظرة معهد اللغات الشرقية فى برلين عام ١٨٨٧، وهو معهد كانت مهمته تتلخص فى الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وبلدان الشرق الأقصى، وعن شعوب هذه البلدان وثقافاتها. وقد نشر المعهد فى «أخباره» على مرّ السنين والأعوام أعمالاً هامة خاصة بالدراسات الإسلامية. نشر إدوارد زاخاو (١٨٤٥ ـ ١٩٣٠) الذى قام فى عامى ١٨٧٩ ـ ١٨٨٠ برحلة بحثية إلى سوريا والجزيرة، وفى عامى ١٨٩٧ ـ ١٨٩٨ برحلة إلى العراق، وكان يشغل منذ عام ١٨٧٦ كرسى الأستاذية بجامعة برلين، نشر بصفته المدير الأول للمعهد «الشرع الإسلامى حسب المذهب الشافعى» (١٨٩٧) ضمن سلسلة الكتب التعليمية التى أصدرها. أما مارتن هارتمن (١٨٥١ ـ ١٩١٨، ولا ينبغى الخلط بينه وبين ريشارد هرتمن) الذى كان يقوم بتدريس اللغة العربية فى هذا المعهد، فقد بذل جهودًا لإنشاء كرسى أستاذية خاص بالدراسات الإسلامية فلم يوفق، لأن الوقت لم يكن

قـد بلغ النضج الكافى لتقبل مثل هذه الدعـوة. كذلك لم يجـد مـارتن هارتمن لاتجاهه الاجتماعى فى البحث من الاهتمام إلا أقله. والسبب يكمن فى شخصيته المتهوّرة المتفاوتة التى كانت تضلله فى كتاباته وتدفعه إلى التعجل فى اتخاذ رأى على الفور، دون تأنٍ وانتظار على الأفكار حتى تنضج بالفعل وتطرح ثمارها فى أوانها. ولٰكنه مع هذا يحتفظ بفضل الاهتمام بالاشتغال العلمى بالعالم الإسلامى المعاصر والتأكيد على هذا الاهتمام، ولا شك أنه كان يضعه نصب عينيه، عندما أنشأ بالاشتراك مع مجموعة من المتفقين معه فى الفكر الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية عام ١٩١٢. وقد نشر العديد من المقالات فى مجلة «عالم الإسلام» التى كان جيورج كامفماير (١٨٦٤ ـ ١٩٣٦) يخرجها لهذه الجمعية. وقد أسهمت هذه المجلة، التى تسمت منذ عام ١٩٥٩ باسم «سلسلة جديد» فى تزويد الرأى العام المتخصص والرأى العام الواسع بكمية كبيرة من المعلومات القيمة، طوال عشرات السنين، أما كتاب مارتن هارتمن الأخير والذى نشر بعد وفاته فى نشريات الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية فقد كان يدور حول شعراء تركيا الجديدة.

ويسوقنا الحديث إلى كارل هاينرش بيكر (١٨٧٦ ـ ١٩٣٣) الذى اختير مرة لمنصب وزير الثقافة البروسى، وكان أول مَن شغل كرسى أستاذية تاريخ ثقافة الشرق، الذى أنشئ عام ١٩٠٨ فى هامبورج عند إنشاء المعهد الاستعمارى هناك. كان بيكر بما تلقى من ثقافة عالمًا فى الدراسات السامية والآشورية أصلاً، ولكنه تحول متأثرًا بكتابات ڤيلهاوزن وجولدتسيهر وسنوك هورجرونيه إلى البحوث الإسلامية. على أن اهتمامه الأول كان قبل كل شىء آخر يتركّز على ميدان تاريخ الثقافة

والدين. ولكن هذا لم يمنع من قيامه ببحوث تناول فيها المسائل الاقتصادية التاريخية. كتب فصلاً عن «توسع العرب» فى «تاريخ كِمبردج للعصر الوسيط». والحق أن كارل هاينريش بيكر كان يمكن أن يكون أى شىء آخر إلا أن يكون مهتمًا بناحية واحدة فقط من الأمور. كان حتى إذا قام بدراسة جزء، لا يبعد نظره عن الكل. وقد جمع بنفسه كتاباته فى كتاب من جزءين اسمه «دراسات إسلامية» وعنوانه الثانى «فى كيان وتطور العالم الإسلامى» (١٩٢٤ ـ ١٩٣٢) ويتناول فيه موضوعات تبيِّن عناوينها طريقته فى التفكير مثل: «الإسلام فى إطار تاريخ الثقافة العام»، «الإسلام والاقتصاد»، «المسيحية والإسلام»، ومثل: «الخطوط الأساسية للتطور الاقتصادى بمصر فى القرون الأولى للإسلام»، «نشأة أرض العشر والخراج فى مصر»، «الحكر والإقطاع»، «فى تاريخ الثقافة الإسلامية»، «الجدل المسيحى وتكون العقائد فى الإسلام». والمقالات المجمعة فى المجلد الثانى تتناول تارة «الإسلام فى أفريقيا» (مثلاً: «الإسلام واستعمار أفريقيا»)، وتارة «مشكلات الشرق المعاصر» («الجامعة الإسلامية»، «فكرة الدولة التركية»، «مشكلة الثقافة التركية» وما إلى ذلك). ويرجع إلى بيكر فضل إنشاء المعهد الهامبورجى لتاريخ الشرق وثقافته، ويرجع إليه أيضًا فضل تأسيس مجلة «الإسلام» (١٩١٠) خاصة، تلك المجلة ـ «مجلة تاريخ الشرق الإسلامى وثقافته» ـ التى بلغت أعدادها الآن ٤١ مجلدًا، والتى تعتبر أهم أداة نشرية للدراسات الإسلامية فى ألمانيا والتى احتفظت على يد مَن خلفوا بيكر على كرسى الاستشراق فى هامبورج بمستواها القديم.

المرحلة التالية لتطور الدراسات الإسلامية حتى العقد الرابع من القرن العشرين

ملاحظة تمهيدية

ليس من المألوف فى عرض للتطور التاريخى لعلم من العلوم أن يصل إلى الحاضر ويشمله، على أية حال صرف زميلى فى التخصص، الأستاذ الهاللى يوهان فوك (ولد عام ١٨٩٤)، فى كتابه العظيم الذى صدر عام ١٩٥٥ «الدراسات العربية فى أوروبا»[1] نظره عن ذلك، ووقف بتاريخه عند مشارف القرن العشرين، فلم ينوّه إلى المتخصصين فى الدراسات العربية الذين كانوا أحياء أيام تأليفه الكتاب، مثل كارل بروكلمن. وفوك له فى هذا التحديد أسبابه الوجيهة، فالمرء لا يحب أن ينصب من نفسه خبيرًا يقيِّم زملاءه، خاصة وأنه مهما أحسن النية لن يصدر عن أى منهم حكمًا عادلاً العدل المطلق.

---

(١) يسرنى أن أقرّر فى هذا المقام أننى فى عرضى لتاريخ الاستشراق الألمانى منذ نولدكه إلى هذا الجزء قد استعملت كتاب فوك كثيرا، وأننى اتبعته أحيانًا حتى فى التعبير اتباعًا وثيقًا، دون إشارة إلى ذلك تفصيلاً. وآمل ألا يأخذ على مؤلف الكتاب هذا. كذلك تعلمت وأخذت الكثير من كتاب جوستاف پفانموللر «موجز فى المدوّنات الإسلامية» الصادر فى عام (١٩٢٣). (المؤلف)

ولكنى أود أن أخرج فيما يلى على هذه العادة، لأن حديثى يدور حول الوضع الراهن للاستشراق الألمانى، أو على الأقل يتخذه له هدفًا. ولهذا بات من الضرورى أن يتناول اتجاهات ومنجزات المستشرقين الذين على قيد الحياة الآن. وليست المهمة بطبيعة الحال مهمة إصدار أحكام قيمية أو مهمة عقد امتحان وتقدير درجات. بل المهمة تقتصر على سعينا إلى التعريف الموضوعى ما استطعنا إلى الموضوعية سبيلاً بمختلف النشريات التى شهدها ميدان الاستشراق.

وهناك صعوبة لا بدّ من أخذها على علاّتها، هذه الصعوبة تتلخص فى أننى لن أستطيع الإشارة إلى العاملين فى صعيد الاستشراق جميعًا بما يحق جهودهم ومنجزاتهم حقها، وفى أننى فى أغلب الأحوال سأقتصر على تنبيهات قصيرة قلت سطحيتها أو عظمت، وسأغفل أشياء إما عن جهل بها أو ربما عن سهو. لهذا أرجو زملائى جميعًا الذين سيطلعون على محاولتى هذه بعد تمامها، ويجدون أننى أسأت فيها إليهم، أن يصدقونى فى أننى كنت على الأقل حسن النية فى حديثى عنهم. أما الشباب من الزملاء الذين يهمنى تقديرهم قدر ما يهمنى تقدير الشيوخ، والذين يحفلون لأسباب بديهية بالمدح والتقدير، فأرجوهم أن يفكروا فى أن عملهم العلمى يحمل قيمته فى ذاته، وأن تقديره لا يتم بالضرورة فى هذا الكتاب بالإشارة على هذا أو ذاك النحو أو بالسكوت عنه. ولقد كنت وأنا فى بداية عهدى بالسلك الجامعى لا أنظر لا إلى يمين ولا إلى شمال، بل أختار الأعمال التى كنت أنا شخصيًا أعتبرها صحيحة هامة. وعندى من التفاؤل ما يجعلنى أوقن بأن كل مستشرق صاعد ينجز شيئًا بحق سيصيب النجاح فى النهاية.

وثمة صعوبة أخرى تتصل بالتحديد الزمنى «العقد الرابع» من القرن العشرين، فقد بدا لى محققًا للهدف أن أشير فى تقريرى هذا إلى الوقفة التى تعرض لها تطور الاستشراق الألمانى نتيجة لقيام حكم النازية، وأن أنهى بعام ١٩٣٣ مرحلة، لأبدأ مرحلة أخرى. وليس معنى هذا رسم خط قاطع فاصل بين المرحلة قبل هذا العام والمرحلة بعده. فالمستشرقون الذين عبروا هذا الوقت العصيب دون أن يلحق بهم أذى، وكانوا قبل ١٩٣٣ ينشطون فى المهنة وفى النشر، سيتناولهم هذا الفصل أو الفصل التالى الذى ينتهى إلى أيامنا حسبَ كوْيد مركز الثقل فى نشاطهم العلمى يقع بعد ١٩٣٣ أو قبله، أو يتناولهم الفصلان جميعًا.

تاريخ الأدب العربى لبروكلمن ودائرة المعارف الإسلامية

كتاب «تاريخ الأدب العربى» الهائل لكارل بروكلمن (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦) هو فى الحقيقة كتاب أساسى فى الدراسات العربية. وهو لا يقتصر على الأدب العربى وفقه اللغة العربية بالمعنى الضيق، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية، ويصبح بهذا عُدة دارس العلوم الإسلامية التى لا محيص له عنها. وقد ظهر الجزء الأساسى من الكتاب فى مجلدين عام ١٨٩٨ وعام ١٩٠٢، ثم جاءت فى الأعوام ١٩٣٧ و١٩٣٨ و١٩٤٢ المجلدات التكميلية الثلاثة الكبيرة. وظهر المجلدان الأول والثانى فى عام ١٩٤٣ و١٩٤٩ فى طبعة أخرى بعد تعديلهما ليتناسبا مع المجلدات التكميلية الثلاثة. والكتاب فى مجموعه ليس تاريخًا للأدب بمعنى الكلمة. بل هو سجل للمصنفات العربية كلها سواء المخطوط منها والمطبوع، يكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين. ومادة الكتاب مرتبة زمنيًا، ومقسمة إلى أربعة، ثم ستة، أجزاء: أولاً: الأدب القومى العربى

من البداية إلى العصر الأموى. ثانيًا: الأدب الإسلامى باللغة العربية فى العصر الكلاسيكى (من حوالى عام ٧٥٠ إلى حوالى ١٠٠٠) والعصر الكلاسيكى المتأخر (من حوالى عام ١٠١٠ إلى حوالى عام ١٢٥٨)، ثالثًا: تدهور الأدب الإسلامى من حكم المغول إلى استيلاء السلطان سليم على مصر فى عام ١٥١٧، ومن ذلك التاريخ إلى الحملة النابليونية على مصر فى عام ١٧٩٨. ويعالج الجزء الثالث التكميلى، رابعًا: الأدب العربى الحديث فيما يقرب من ٥٠٠ صفحة. وتعقب هذا ٦٠٠ صفحة تقريبًا تضم سجلاً للمؤلفين ولعناوين الكتب. وقد رتّب المؤلفون والمصنفات الواردة فى الأجزاء الستة حسب المادة وطبقًا لأوجه نظر جغرافية وتاريخية. وقد أنشأ كارل بروكلمن هذا العمل الجدير بالإعجاب بمفرده، ولم يكن هذا الكتاب هو كتابه الوحيد، فقد وهب العلم المتخصص مجموعة بأسرها من المؤلفات الكبيرة ذات الفائدة الجمة. ومن الممكن أن نفهم أن البيانات التى تضمنها «تاريخ الأدب العربى» لبروكلمن بها هنات فى تفصيلاتها. ولكن مثل هذا العمل الضخم ما كان يمكن أن يخرج للوجود أبدًا إذا تحرّى طريقة العمل الدقيقة البالغة الدقة، التى كانت تميز مستشرق توبنجن القديم وناقد بروكلمن الشديد كرستيان فريدرش زايبولد (١٨٥٩ - ١٩٢١).

ومن البديهى أن تاريخ الأدب العربى لبروكلمن فى حاجة دائمة متجددة إلى الإكمال. وقد قام المؤلف نفسه بأول إكمال؛ إذ أضاف إلى كتابه ثلاثة مجلدات تكميلية تضم فى مجموعها ٢٦٠٠ صفحة، بعد مرور ٤٠ إلى ٥٠ سنة من ظهوره. وقد مرّت منذ ذلك الحين سنوات تزيد على العشرين، تكاملت فيها عناوين مصنفات كثيرة نتيجة لاكتشاف مخطوطات لم تكن معروفة، وظهرت فيها عناوين أخرى لم تكن موجودة

من قبل، وصدرت من بعض المؤلفات طبعات أخرى لا بدّ من الإشارة إليها. وقد قام المستشرق التركى المتخصص فى الدراسات العربية فؤاد سزجين، وتلميذ هلموت ريتر، الموجود حاليًا فى فرنكفورت، بالبحث المنظم فى مجموعات المخطوطات العربية سنوات عديدة واكتشف آلافًا من المخطوطات، والمفروض أن تظهر نتيجة بحوثه فى مجلدين باللغة الألمانية، يضافان بوصفهما ملحقين لكتاب بروكلمن. هذا إلى أنه ظهرت فى العام الماضى فكرة جميلة، مستقلة عن ذلك، تدور حول إمكانية إعادة نشر الكتاب كله فى صورة جديدة تمامًا تقوم على أساس من التعاون العالمى، ولكنها للأسف، تأجلت مؤقتًا.

وهناك معين آخر فى الدراسات الإسلامية لا يقل أهمية عن «تاريخ الأدب العربى» لبروكلمن، هو «دائرة المعارف الإسلامية». وتختلف دائرة المعارف الإسلامية عن كتاب بروكلمن فى أنها قامت من الأصل على أساس من التعاون العالمى وأنها تمت على مرّ السنين والأعوام. وقد اشترك فى التخطيط لها اشتراكًا حاسمًا المستشرق سنوك هورجرونيه، وقام على التنفيذ خلفه على كرسى ليدن المستشرق ارنت يان ڤينسيك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩)، واشترك لفيف من المستشرقين الألمان فى كتابة عدد عظيم من المواد. واشترك فى نشر الجزء الأول من الدائرة، الذى تم وظهر عام ١٩١٣، من الجانب الألمانى آرتور شاده (١٨٨٣ ـ ١٩٥٢) وريشارد هرتمن (١٨٨١ ـ ١٩٦٥). وفى الجزء الثانى الذى ظهر عام ١٩٢٧ هانس باور (١٨٧٨ ـ ١٩٣٧)، ثم آرتور شاده وڤيللى هيفينج (١٨٩٤ ـ ١٩٤٤)، واشترك ڤيللى هيفننج فى مسئولية نشر الجزء الثالث والجزء الرابع والمجلد التكميلى، تلك المجلدات التى جرى العمل فيها فى وقت واحد وخرجت فى الأعوام ١٩٣٦ و١٩٣٧ و١٩٣٨ على التوالى.

واعد هيفننج سجلاً عامًا، ولكنه لم ينشر. وظهرت «دائرة المعارف الإسلامية» فى المرة الأولى فى ثلاث طبعات، طبعة ألمانية، وطبعة إنجليزية، وطبعة فرنسية. وكانت المقالات فى غالبيتها بقلم المتخصصين فى موضوعاتها، وكانت تترجم من لغتها الأصلية إلى اللغتين الأخريين. وقد بدأ بعد الحرب العالمية الثانية الإعداد لطبعة جديدة من دائرة المعارف يشترك فيها أيضًا لفيف من العلماء الألمان المتخصصين، وبدأت تظهر منذ عام ١٩٥٤، للأسف فى طبعتين فقط واحدة إنجليزية والأخرى فرنسية.

محمد والقرآن

تناولت محمدًا والقرآن فى المنطقة الألمانية فى مئة العام الماضية أبحاث وكتابات كثيرة، أشرنا فيما سبق منها إلى طبعة سيرة ابن هشام التى أخرجها فرديناند ڤوستنفلد (١٨٥٨ ـ ١٨٦٠) وإلى ترجمة جوستاف ڤايل لها (١٨٦٤) وأشرنا كذلك إلى طبعة تفسير البيضاوى التى أخرجها هاينرش ليبرشت فلايشر (١٨٤٦ و١٨٤٨) وإلى كتاب «تاريخ القرآن» لتيودور نولدكه (الطبعة الأولى عام ١٨٦٠). وفى مطلع القرن العشرين خرج كتاب «طبقات ابن سعد» الذى يُعد مصدرًا هامًا للتاريخ الإسلامى المبكر بحافز من إداورد زاخاو ويتعاون من أويجين مينفخ ويوزف هوروڤيتس وفريدرش شڤاللى وآخرين. وقد اختصت رسالتان من رسائل الدكتوراه تفسير السيرة المحمدية بالدرس: رسالة ب. برونله «مفسرو ابن إسحق وحواشيهم» (١٨٩٥) ورسالة أرتور شاده (١٨٨٣ ـ ١٩٥٢) «تفسيرات سهيلى وآبى در لقصائد أحد فى سيرة ابن هشام» (١٩٢٠). وأنشأ هوبرت جريمه (١٨٦٤ ـ ١٩٤٢) كتاباً من جزءين «محمد»، تحدث

فيه عن حياة النبى العربى وعمله. ولكن حكمه كان خاطئًا، فقد اعتبر محمدًا مصلحًا اشتراكيًا أولاً وقبل كل شىء آخر. على أن عرضه المنظم للفقه الإسلامى القرآنى فى المجلد الثانى من الكتاب، عرض قيم لا نزال نجد فيه نفعًا. ويختلف كل ما كتبه يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) عن محمد والقرآن والتاريخ الإسلامى المبكر اختلافًا بينًا عن آراء جريمه المتطرفة أحيانًا، فهوروفيتس يزن الأمور بميزان النقد والحرص، ويكتسب بهذا ثقة لكتاباته. وتحتوى «بحوثه القرآنية» على طائفة كبيرة من الملاحظات والمعلومات الصائبة. والجزء الأول منها يعالج النصوص القصصية فى القرآن (ويقسّم كلامه إلى: عموميات وشكليات. أساطير رادعة. قصص الأنبياء والصالحين. النبوة فى القرآن) ويعالج الجزء الثانى الأسماء الأعلام فى القرآن. وقد نشر مقالاً بعنوان «الأسماء الأعلام اليهودية فى القرآن مشتقاتها» فى مجلة كلية الاتحاد العبرى، المجلد الثانى، (١٩٢٥، وأعيد طبعه عام ١٩٦٤)، يحتوى على إضافات هامة تكمل هذا الجزء الثانى من كتابه.

وقد عالج نفر من تلاميذ هوروفيتس فى رسائلهم موضوعات قرآنية وموضوعات تتصل بالتاريخ الإسلامى المبكر، أنشأ يوهان فوك (١٨٩٤): «محمد بن إسحق. دراسات فى تاريخ الأدب»، وهى رسالة فيها عيوب تتصل بالنقل من المخطوطات ولكنها سليمة من ناحية المادة، ونشر يوزف س. ريفلين» القانون فى القرآن والعبادات والشعائر» عام ١٩٣٤.... وقد أشار ريفلين فى مقدمة بحثه إلى عملين: «يسوع فى القرآن» نسبة إلى ل. بخمن، و«الصلاة فى القرآن» نسبة إلى ف. جويتاين، وهما بحثان من بحوث مدرسة هوروفيتس، يبدو أنهما لم يطبعا.

ويجدر بنا في هذا الموضع .... أن نذكر كتابين عن النبي العربي، يختلفان في وجهتهما عن كتاب آرنس[1]، أنشأهما كاتبان مستشرقان اسكندنافيان، ولكنهما ظهرا في ترجمتين ألمانيتين جعلتا لهما جمهورًا كبيرًا من القراء الألمان، كتاب فرانتس بُول «حياة محمد»، ترجمة هانس هاينرش شيدر (١٩٣٠) وكتاب تور أندريه «محمد. حياته ودينه» (١٩٣٢). هما كتابان على مستوى علمي رفيع ولا يعلو عليهما في بابهما كتاب آخر. ويتميّز كتاب فرانتس بُول بموضوعيته الهادئة، وكتاب تور أندريه بمعالجة واعية للموضوعات الدينية السيكولوجية.

أما موضوع القرآن خاصة فقد عالجه في السنوات الأخيرة جوتلهف برجشتريسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٣) وتلميذه وخلفه أوتو پرتسل (١٨٩٣ ـ ١٩٤١): برجشتريسر حصل على الدكتوراه على يد أوجست فيشر بناء على رسالته «أدوات النفي والاستفهام وما إليها في القرآن» (١٩١٤)، ونهض بعد وفاة فريدرش شڤاللي باستكمال تعديل كتاب نولدكه «تاريخ النص القرآني»، وبإعادة كتابة الجزء الثالث من الكتاب على نحو جديد تمامًا، ومات قبل أن ينشره فنشره پرتسل. وقد تناول في مقالات له نشرت بالمجلات أو قدمت للمجامع موضوعات مثل: «قراءة الحسن البصري» (١٩٢٦) قراءة القرآن في القاهرة (١٩٣٢ و١٩٣٣) والقراءات الشاذّة في كتاب المحتسب لابن جني (١٩٣٣). كذلك نشر طبعة كتاب ابن خالويه «مختصر شواذ القراءات» (١٩٣٤) و«طبقات القراء» لابن الجزري (١٩٣٥، بفهارس من إعداد پرتسل) وقد تحدث برجشتريسر في منشورات مجمع العلوم الباڤاري عن «خطة لوضع هوامش نقدية للقرآن»

---

(١) «محمد، صاحب دين» لكارل آرنس (١٩٣٥).

(١٩٣٠)، تضم القراءات المختلفة، لا على أساس كتب القراءات، بل على أساس أقدم المخطوطات القرآنية. وقد تابع أوتو پرتسل، بعد وفاة برجشتريسر، خطة الهوامش النقدية وتحدث عنها بالتفصيل فيما أسماه بـ «علم القراءات» بمجلة «إسلاميكا» فى ذلك الوقت (١٩٣٤). وجمعت المخطوطات القديمة التى أمكن الوصول إليها مصورة على أفلام نيجاتيف، جمعًا منظمًا فى أرشيف، ولكن الأفلام التى جمعت ضاعت فى الحرب العالمية الثانية، وصرف النظر عن الموضوع.

التاريخ الثقافى والتاريخ السياسى

فى الكتاب الذى أصدره ڤيلهلم أونكن بعنوان «التاريخ العام فى بحوث منفصلة» ظهر فى عامى ١٨٨٥ و١٨٨٧ الجزآن المسميان «الإسلام فى الشرق والغرب» تأليف أوجست موللر (١٨٤٨ ـ ١٨٩٢)، واللذان يعتبران حتى الآن المؤلَّف الشامل المفصل الوحيد الذى عالج التاريخ السياسى للإسلام. ولكن المطلع عليه يلاحظ عليه أنه كتاب أُلِّف وفاءً لطلب، فهناك أجزاء هامة تفتقر إلى الإعداد الأول والدراسة التمهيدية. وما كان يمكن لشخص واحد أن يدرس المادة الهائلة الدراسة الكافية ويقيمها ليكون منها عرضًا تاريخيًا شاملاً، وما كان للتأملات، مهما بلغت من طرافة الصياغة، أن تملأ ما بالكتاب من الفراغات. لهذا لقى كتاب كارل بروكلمن (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦) «تاريخ الشعوب والدول الإسلامية» عندما صدر عام ١٩٣٩ الترحيب من كل جهة (صدرت منه طبعة ثانية عام ١٩٤٣)، ويصل كارل بروكلمن فى كتابه هذا إلى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى فيشملها أيضًا، ولكنه عمومًا على حد اعتراف المؤلف نفسه «لا يزال من الأمور الشديدة المخاطرة اليوم أن يكتب الإنسان

تاريخًا للشعوب والدول الإسلامية من البداية حتى العصر الحاضر، لأن المصادر اللازمة لعرض من هذا النوع لم تنشر بعد كلها، فضلاً عن معالجتها معالجة نقدية». ويستعرض بروكلمن كمية ضخمة هائلة من الوقائع مما يجعل القراءة متعبة مملة.

أما كتاب آدم ميتس (١٨٦٩ ـ ١٩١٧) «عصر النهضة فى الإسلام» الذى نشره بعد موت مؤلفه هرمن ركندورف، فكتاب من نوع آخر يختلف عن نوع كتابَى أوجست موللر وكارل بروكلمن، فهو عرض للثقافة الإسلامية فى القرن العاشر الميلادى، يدع فيه المؤلف المصادر نفسها تتحدث ويعرف كيف يضم المعلومات التفصيلية الكثيرة التى يوردها بنظام ويصيغها فى جمل موجزة سائغة للقارئ، ويبدأ بالحديث عن «الدولة» و«الخلفاء» و«الأمراء» و«المسيحيين واليهود» و«الشيعة» و«الإدارة» و«الوزراء» و«المالية» ثم ينتقل إلى الحديث عن موضوعات أخرى تدل عليها عناوين الأبواب الآتية: «الأشراف»، «العبيد»، «العلماء»، «الفقه»، «القاضى»، «الأدب»، «الدين»، «الأخلاق»، «الرزق»، و«المدن»، «الأعياد»، «إنتاج البضائع»، «الصناعة»، «التجارة»، «الملاحة النهرية»، «النقل البرى»، «الملاحة البحرية». ولكن عنوان الكتاب لم يُختر اختيارًا موفقًا، والمقصود منه أن المجتمع الإسلامى فى القرن العاشر أحدث نهضة فى بعض العناصر الثقافية التى عرفت فى العصر قبل الإسلامى، وخاصة الهللينية منها.

وقد نشط فى قطاع التاريخ مستشرق آخر هو «ريشارد هرتمن» (١٨٨١ ـ ١٩٦٥) وتمثل نشاطه خاصة فى مؤلفاته: «فلسطين تحت حكم العرب ـ ٦٣٢ ـ ١٥١٦» (١٩١٥) و«المقتطفة التوينجنية من تاريخ ابن طولون» (١٩٢٦)، «فى التاريخ الأول للخلافة العباسية الظاهرية

بالقاهرة» (١٩٥٠). وله تحليلان طريفان تعرض بهما لعالم الإسلام اليوم: «عالم الإسلام قديمًا وحديثًا» (١٩٢٧) و«أزمة الإسلام» (١٩٢٨)، وينبغى أن نشير من بين مؤلفاته الأخرى إلى كتابه «دين الإسلام. مدخل» (١٩٤٤) بصفة خاصة. وهناك فى قطاع التاريخ أيضًا مؤلفات طريفة لجيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) نشير إليها فى هذا المقام، عالج فيها العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى: «التجارة الاسكندنافية البلطيقية للعرب فى العصور الوسطى» (١٨٨٧)، «عربى من القرن العاشر يصف فولدا وشلزفيج وزوست وپاديبورن ومدائن أخرى فى الغرب» (الطبعة الثالثة ١٨٩٦)، «تقارير عربية لمبعوثين إلى دواوين أمراء جرمان من القرنين التاسع والعاشر» (١٩٢٧)، «تأثير الشرق على الغرب أثناء العصر الوسيط خاصة» (١٩٢٤). أما فالتر بيوركمن (١٨٩٦) فقد يسر استعمال صبح الأعشى للقلقشندى، ذلك الكتاب الضخم الذى يقع فى ١٤ جزءًا، بملخص أعده باللغة الألمانية أسماه «فصول فى تاريخ ديوان الإنشاء بمصر الإسلامية» (١٩٢٨). واشترك پاول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤) و م. زوبرنهايم (١٨٧٢ - ١٩٣٣) ومحمد مصطفى فى إخراج الأجزاء الأخيرة من تاريخ ابن إياس بين عام ١٩٣١ و١٩٤٥، وهو كتاب مهم فى تاريخ مصر فى العصر الوسيط المتأخر (وزودته المستشرقة أنيمارى شيمل بمجلد فهارس). ونشر إريش طويف فى عام ١٩٢٩ دراسة تفصيلية خاصة «تكوينات البلدان فى الأجزاء العربية من تركيا منذ الحرب العالمية، طبقًا لنشأتها وأهميتها وقدرتها على الحياة».

وفى ميدان التاريخ التركى العثمانى صنع فرنتس بابينجر (١٨٩١) له اسمًا، وهو عالم متضلع من مادته، بنشرياته العديدة التى أهمها الكتابان

المهمان المفصلان: «مؤرخو العثمانيين وأعمالهم» (١٩٢٧) وهو كتاب أساسى فى هذا الميدان، و«محمد الفاتح وعصره» (١٩٥٣). ومن بين مقالاته القصيرة مقال مفيد جدًا نشر ببعض المجلات هو «الإسلام فى آسيا الصغرى» (١٩٢٢). أما كتابا رودلف تشودى (١٨٨٤ ـ ١٩٦٠) «الخلافة» (١٩٢٦) و«الدولة العثمانية القديمة» (١٩٢٦) فيستحقان التنويه رغم تواضع حجميهما. ولا يتسع المقام للإشارة إلى النشريات الكثيرة التى ظهرت فى العشرينيات والثلاثينيات عن تاريخ تركيا الحديثة.

أصول الدين . تاريخ العقيدة . تاريخ الفرق . تدين وتصوف

المؤلفات التى أخرجتها المطابع فى السنوات الماضية خاصة بالحياة الدينية، التى هى الميدان الأوسط لظاهرة الإسلام كثيرة كثرة لا يمكن معها الحديث إلا عن طائفة من بينها فقط.

ظهرت مجموعات من النصوص الدينية المستقاة من المصادر مترجمة إلى اللغة الألمانية، منها كتاب يوزف هيل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) المسمى «من محمد إلى الغزالى» (١٩٢٣) وكتاب يوزف شاخت (١٩٠٢) «الإسلام والقرآن» (١٩٣١) الذى ظهر ضمن الطبعة الثانية للمطالعة فى تاريخ الأديان التى نشرها ألفريد برتوليت. وقد ظهر حديثًا (١٩٦٢) كتاب «عقائد الإسلام» من تأليف هِرْمن شتيجليكر (١٨٨٥) وهو عالم نمساوى فى اللاهوت، يتحدث فيما يزيد على ٨٠٠ صفحة عن أصول الدين الإسلامى الحنيف حديثًا يشمل أفرعه المتشعبة، وينتهج أسلوبًا مدرسيًا منظمًا صرفًا، دون أن يتعرّض للمادة من أوجه نظر تاريخية مما يسهل على القراء فهمها. وهناك من تأليف هلموت ريتر (١٨٩٢) «دراسة

فى تاريخ التدين الإسلامى» تضم إشادة مفصلة بالحسن البصرى (١٩٣٣)، وكتاب الغزالى «كيمياء السعادة. مترجم من مختارات عن المصادر الفارسية والعربية» (١٩٢٣) الذى يعتبر مدخلاً ممتازًا إلى أعمال الفقه الإسلامى العظيم. وقد أخرج هانس باور (١٨٧٨ ـ ١٩٣٧) أجزاء من مصنف الغزالى «إحياء علوم الدين» مترجمة إلى الألمانية ومشروحة، وهى الكتاب الثانى وأسماه «قواعد العقائد عند الغزالى» (١٩١٢) والكتاب السابع والثلاثون وأسماء «النية والإخلاص والصدق» (١٩١٦) والكتاب الثانى عشر «النكاح» (١٩١٧) والكتاب الرابع عشر «الحلال والحرام» (١٩٢٢). وقام تلميذه وخلفه هانس فير (١٩٠٩) بمتابعة السلسلة فأخرج ترجمة وشرحًا للكتاب الخامس والثلاثين من مؤلف الغزالى باسم «كتاب الغزالى فى الثقة بالله» (١٩٤٠). وهناك كتاب فى مجلدين من تأليف ماكس هورتن (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) عن «عالم الأفكار الدينية لدى المسلمين المثقفين فى الوقت الحاضر» (١٩١٦) و«عالم الأفكار الدينية لدى عامة المسلمين فى الوقت الحاضر» (١٩١٧).

وقد أخرج المستشرق هلموت ريتر الذى نوهنا إليه من قبل كتابًا هامًا عن تاريخ الفرق الإسلامية. وهلموت ريتر واحد من أهم القائمين بالدراسات الإسلامية ومن أوفرهم إنتاجًا. أما كتابه الذى نعنيه فهو طبعة «مقالات الإسلاميين» للأشعرى (ظهر فى جزءين عامى ١٩٢٩ و١٩٣٠ ومعه فهارس، وهى المجلدات رقم ١ «أ» و١ «ب» و١ «جـ»، من سلسلة المكتبة الإسلامية ـ البيبليوتيكا إسلاميكا ـ التى يخرجها هـ. ريتر بتكليف من الجمعية الشرقية الألمانية). وقد أمكن بفضل الاستناد إلى التقرير الموضوعى للأشعرى تتبع خطوط تطور تاريخ العقيدة

الإسلامية فى العصر المبكر تتبعًا تفصيليًا. كذلك أخرج ريتر كتاب «فرق الشيعة» للحسن بن موسى النوبختى أو على الأصح لأبى القاسم سعد بن عبد الله الأشعرى القومى (المجلد رقم ٤ من المكتبة الإسلامية، ١٩٣١). أما رودلف شتروتمن (١٨٧٧ ـ ١٩٦٠) فقد تعمق دراسة الفرق الإسلامية خاصة إلى أبعد حد، وخص بمقاليه الأولين الرائعين فرقة الزيديين الموجودة باليمن للآن: «مدونات الزيديين» (١٩١٠/١٩١١) «دستور الزيديين» و«شعائر الزيديين» (١٩١٢). ثم أتبعهما سلسلة طويلة من الأبحاث ومن الطبعات خاصة لنصوص من دائرة الشيعة الاثنا عشريين والسبعيين والنصيريين والفرق الأخرى، وتحليلات لها. نذكر منها «بيان مذهب الباطنية وبطلانه» من كتاب «قواعد عقائد آل محمد» لمحمد بن الحسن الديلمى (١٩٣٩) و«نصوص العلم الروحانى عند الإسماعيليين» (١٩٤٣) و«مجموع الأعياد والدلالات عند النصيريين ميمون بن القاسم الطبرانى، كتاب أساسى فى دراسة دولة العلويين السورية» (١٩٤٦) و«تفسير إسماعيل للقرآن، الأجزاء من ١١ إلى ٢٠، مخطوط عربى أمبروزيانا هـ ٧٦» (١٩٥٥) و«موضوعات باطنية فريدة عند النصيرية» (١٩٥٨). وفى معرض حديثنا عن الكتب التى تعالج الفرق الإسلامية، ومن ثم، تعالج الخلاف الإسلامى الداخلى القائم، نشير إلى عمل يدور حول المدافعين المسلمين فى العصر الوسيط وحول موضوعات الخلاف والتشاحن بينهم وبين المسيحية، هو كتاب أردمن فريتش: «الإسلام والمسيحية فى العصر الوسيط. دراسات فى تاريخ التشاحن الإسلامى مع المسيحية باللغة العربية» (١٩٣٠).

كان ألفريد فون كريمر وإجناتس جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه يعتبرون التصوُّف ضلعًا مهمًا جوهريًا فى الإسلام، ثم جاء ريشارد

هرتمن (١٨٨١ ـ ١٩٦٥) وأصدر دراسة خاصة عام ١٩١٤ «عرض القريشى للصوفية (الرسالة فى علم التصوُّف)» بيَّن فيها الاتجاهات الفكرية لرجل يمثل صوفية معتدلة تتفق مع الإسلام الحنيف. ونشر جيورج روزن كتابه «مثنوى الشيخ مولانا جلال الدين الرومى» (١٩١٣) الذى قدم بنشره عيِّنات من العمل الشعرى لواحد من الصوفيين الفارسيين البارزين. على أن أفضل دراسة للتصوُّف الإسلامى دراسة حاسمة ترجع إلى المستشرق الفرنسى الفذ الذى كان يسترسل فى التهويم أحيانًا لوى ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢)، والذى أخرج كتبًا تعتبر عُدة الطالب فى الدراسات الإسلامية حتى فى الديار الألمانية منها: «آلام الحسين بن المنصور الحلاج، شهيد التصوُّف الإسلامى، الذى أعدم فى بغداد فى ٢٦ مارس ٩٢٢، (فى مجلدين، ١٩٢٢)، «دراسة فى أصول المصطلحات الفنية للتصوُّف الإسلامى» (١٩٢٢) و«مجموعة نصوص لم تنشر من قبل خاصة بتاريخ التصوُّف فى البلاد الإسلامية» (١٩٢٩). ثم جاء ماكس هورتن (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) وكان قد أشار فى عام ١٩١٠ فى «مجلة الفلسفة العلمية وعلم الاجتماع» إلى وجود «أفكار هندية فى الفلسفة الإسلامية»، وكتب فى عام ١٩٢٨ فى مجلة الجمعية الشرقية الألمانية تحت عنوان فيه مبالغة وتكبُّر هو «فحص فيلولوجى لمحاولات ترجمة نصوص صوفية للحلاج» مقالاً نقد فيه نتائج أبحاث ماسينيون، واعتبر اللاكونية وتعاليم المايا المكونات الأساسية لأفكار الحلاج، واعتبر الحلاج نفسه مفكرًا من الطراز البرهمانى. وتولد من هذه الاعتبارات تشاحن مؤسف ربما لم تُتَحْ خلاله الفرصة دائمًا لفهم الأمور التى كان هورتن يقولها على الوجه الصحيح. ولريشارد هرتمن رأى وسط، كأنه اتخذه قبل المعركة ليوفق بين اتجاهيها، نشره

عام ١٩١٦ «فى مسألة أصل الصوفية وبدايتها»، يقول: إن عالم الأفكار والتصوُّرات الإسلامى ينبغى أن يفهم أولاً من خلال الإسلام نفسه، دون أن يعنى هذا استبعاد التأثيرات الأجنبية المباشرة.

وأتى بعد جيورج روزن مستشرقون آخرون ترجموا فى أعقابه عينات من القصائد الصوفية إلى الألمانية، منهم ماكس مايرهوف (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) فى «الصوفية الفارسية التركية» (١٩٢١) وجيورج ياكوب (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) فى «الوحدة الصوفية. حنين وتحقق» (١٩٢٢). وهلموت ريتر الذى ظهرت له فى كتاب تكريم جيورج ياكوب (١٩٣٢) ترجمة أدبية ممتازة للنشيد الأول من القصيدة التعليمية الصوفية العظيمة لجلال الدين الرومى، وفى كتاب تكريم رودولف تشودى (١٩٥٤) «كلمات بايزيد البسطامى»، وفى مجلة «أورينس» (١٩٥٢) «الصوفية الإسلامية جدال مع الله». أما أهم عمل أنشأه ريتر وأسهم به فى دراسة الصوفية فهو كتابه العلمى الكبير «بحر الروح. الإنسان والدنيا والله فى حكايات فريد الدين عطار» (١٩٥٥)، ذلك الكتاب الذى يعتبر بحق معينًا لا ينضب للأفكار الصوفية.

وهناك كتب ومقالات تعالج موضوع الطوائف الصوفية التى أخذت أهميتها تزداد تدريجيًا فى قلب العصر الوسيط والجزء المتأخر من العصر الوسيط، وموضوع الجماعات المشابهة لها منها: بقلم هرمن تورننج «مقالات لفهم نظام الجمعيات الإسلامى على أساس بسط مداد التوفيق» (١٩١٣) فيها تفصيلات دقيقة عن قبول المستجدين فى طائفة من طوائف الدراويش، وبقلم باول كاله (١٨٧٥ ـ ١٩٦٥) «فى تنظيم طوائف الدراويش فى مصر» (١٩١٦) وبقلم ريشارد هرتمن «فتوة

وملامة» (١٩١٨)، وبقلم جيورج ياكوب (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) «مقالات فى فهم طائفة الدراويش البكتاشية (١٩٠٨) و«البكتاشية وعلاقتها بالظواهر المشابهة» (١٩٠٩)، وبقلم ريشارد رويش «الإسلام فى شرق أفريقيا مع مراعاة خاصة للجماعات الإسلامية السرية» (١٩٣٠). وخص فرانتس تيشنر (١٨٨٨) الفتوة، وهى تنظيم من الرجال يتابع أهدافًا إنسانية، بأبحاث مستفيضة وطبعات للنصوص، لا نستطيع أن نتعرّض لها هنا بالتفصيل ونكتفى بالإشارة إلى مقالتيه العامتين «جماعات الفتوة الإسلامية. مشكلة نشأتها والخطوط الأساسية لتاريخها». (١٩٣٤) و«الفرسانية الإسلامية فى وقت الحروب الصليبية». (١٩٣٨).

الشريعة الإسلامية

رفع جولدتسيهر وسنوك هورجرونيه الفقه إلى درجة الموضوع الخاص الذى تبحثه الدراسات الإسلامية، وأدى هذا إلى نشاط فى العالم المتخصص، بما فيه المنطقة الناطقة بالألمانية، وحركة نشر كبيرة. فى عام ١٩١٠ ظهر «موجز الشرع الإسلامى على مذهب المدرسة الشافعية» فى طبعة مجددة من طبعة ت. ف. يونبول الأساسية الأصلية بالهولندية عام ١٩٠٣. أما الدراسات الألمانية الأصيلة التى كتبها مستشرقون ألمان فنذكر منها: «قانون الأجانب الإسلامى حتى الاتفاقات الإسلامية الأفرنجية .. دراسة قانونية تاريخية فى الفقه» (١٩٢٥) و«فى بناء المؤلفات الفقهية الإسلامية» (١٩٣٥) لـ ڤيللى هيفننج (١٨٩٤ ـ ١٩٤٤). «فى تطبيق الشريعة الإسلامية فى القرن السادس عشر. التفسيرات الشرعية لشيخ الإسلام أبى السعود، أخرجها وترجمها وبحثها «پاول هورستر» (١٩٣٥). أما يوزف شاخت (١٩٠٢) الخبير الأول

فى ميدان الشريعة الإسلامية فى الوقت الحاضر، فقد بدأ دراساته المنوعة للفقه بطبعة من «كتاب الحيل والمخاريج» للخشاف (١٩٢٣) و«كتاب الحيل فى الفقه» للقزوينى (١٩٢٤)، ثم نشر فى مجلة «الإسلام» (١٩٢٦) عرضًا عامًا لمدونات الحيل الفقهية: «المدونات العربية عن الحيل. دراسة فى تطبيق الشريعة الإسلامية». كذلك نشر شاخت مقالات عن الموضوعات الآتية: «مهام البحوث فى الشريعة الإسلامية» (١٩٢٨)، «شريعة وقانون فى مصر الحديثة. دراسة فى موضوع اتجاه التجديد الإسلامى» (١٩٣٢)، «نظرة اجتماعية فى الشريعة الإسلامية» (١٩٣٥). وفى عام ١٩٣٣ نشر شاخت: «مقتطفات القنسطنطينية من كتاب الاختلاف للطبرى». كذلك اشتغل جوتهلف برجشتريسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٣) بمسائل الشريعة الإسلامية اشتغال العالم المتعمق، وعبر عن آرائه فيها بصفة أساسية فى مقالتين هامتين نشرتا ببعض المجلات: «بداية التفكير التشريعى فى الإسلام ومميزاته» (١٩٢٥) و«فى منهج البحث فى الفقه» (١٩٣١). وأخرج شاخت من مخلفات برجشتريسر الذى مات مبكرًا، مخطوط محاضرات منظمة ألقاها فى الفصل الدراسى الشتوى ١٩٢٨/١٩٢٩) عن المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية، ونشره باسم «المميزات الأساسية للشريعة الإسلامية، بقلم جوتهلف برجشتريسر» (فى سلسلة الكتب التعليمية لقسم اللغات الشرقية ببرلين، ٣٥، ١٩٣٥). ويبدأ الكتاب بتقرير معبّر مؤثر: «الشريعة الإسلامية بمعناها الواسع الذى يشمل تنظيم الشعائر كذلك، هى المضمون الحقيقى للروح الإسلامية الأصيلة، وهى التعبير الحاسم عن التفكير الإسلامى، إنها النواة الجوهرية للإسلام على الإطلاق».

الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضة

لقيت الفلسفة الإسلامية منذ منتصف القرن التاسع عشر اهتمام المستشرق فريدرش ديتريتشى (١٨٢١ ـ ١٩٠٣) الذى توفر عليها وأخرج ما يسمى «بكتاب الربوبية لأرسطو» ومختارات من «رسائل إخوان الصفا»، و«الدولة النموذجية»، ورسائل أخرى للفارابى، وحاول أن يعرض «فلسفة العرب فى القرن العاشر اعتمادًا على كتابات إخوان الصفا» (٨ مجلدات). وفى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كتب ل. شتاين «فى ظهور الفلسفة الإغريقية لأول مرة بين العرب» (١٨٨٩) و«استمرار الفلسفة الإغريقية والعالم الفكرى عند العرب» (١٨٩٨)، وكتب ى. پوللاك فى «تطور الفلسفة العربية واليهودية فى العصر الوسيط» (١٩٠٤)، وكتب ز. هوروفيتس فى «أثر الرواقية على تطور الفلسفة عند العرب» (١٩٠٣) وفى موضوع «أثر الفلسفة الإغريقية على تطور الكلام» (١٩٠٩). وتبعت هذه الدراسات محاولات لعرض تاريخ الفلسفة الإسلامية فى مجموعها: «تاريخ الفلسفة فى الإسلام» بقلم ت. ى. دى بور (١٩٠١) ومن تأليف ماكس هورتن (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) «النظريات الفلسفية للفقهاء المتأملين فى الإسلام اعتمادًا على مصادر أصلية» (١٩١٢) و«فلسفة الإسلام فى علاقاتها بالنظريات الفلسفية بالجزء الغربى من الشرق» (١٩٢٤)، كذلك قام هورتن بكتابة القسم الخاص بفلسفة الإسلام فى الطبعة الحادية عشرة من كتاب «أوبرڤيج» أساسيات تاريخ الفلسفة (فى المجلد الخاص بفلسفة آباء الكنيسة والمتكلمين) الذى ظهر عام ١٩٢٧ وأعيد طبعه عام ١٩٥١. بالإضافة إلى هذه الأعمال، كتب هورتن مجموعة كبيرة من الدراسات المستقلة عن النظريات الفلسفية لنفر من الفلاسفة والمتكلمين، وتقريرات سنوية عن

الكتب الجديدة فى ميدان الفلسفة العربية وما إلى ذلك. كان ماكس هورتن يمتاز بقدرة إنتاجية عجيبة، ولكن أعماله لم تسبر الأغوار كما كنا نتمنى، ونحن نفتقد لديه قبل كل شىء آخر، ترجمة الطرز الفكرية الكلامية التى يقدمها لنا من العصر الوسيط عن مصادرها إلى الطرز الفكرية فى العصر الحاضر. وهناك فيما يعرض موضوعات كثيرة ينبغى أن يتناولها البحث التفصيلى الجزئى أولاً. وإذا انتقلنا إلى العصر الحديث وجدنا أعمالاً قيمة نشير من بينها إلى «مقالات فى نظرية الذرات الإسلامية» (١٩٣٦) بقلم زالمون پينس و«نظرية الذرات فى العصر الإسلامى المبكر» (١٩٣١) تأليف «آوتو پرتسل» (١٨٩٣ ـ ١٩٤١) و«نظرية الصفات الإسلامية، المبكرة وأسسها الفلسفية وآثارها» (١٩٤٠) ويصل پرتسل استنادًا إلى ما تحت يديه من مادة، وخاصة «مقالات الإسلاميين» للأشعرى، إلى نتائج منها أن النظرية الصفاتية الإسلامية المبكرة لا سبيل إلى وصلها بالفلسفة الإغريقية أو إلى تفريعها عنها، كما كان الناس يظنون بناءً على مصادر متأخرة.

على أن التراث الإغريقى العلمى قد أثر بصفة عامة تأثيرًا خارقًا للعادة فى نشأة الثقافة العربية الإسلامية وخاصة تلك الأعمال المختصة بالفلسفة والطب. وقد جمع موريتس شتاينشنايدر (١٨١٦ ـ ١٩٠٧) شتات هذا الموضوع فى «الترجمات العربية المنقولة عن الإغريقية» (١٨٨٩ ـ ١٨٩٦، طبعة مكررة ١٩٦٠). وهناك بقلم جوتهلف برجشتريسر «حنين ابن إسحق ومدرسته» (١٩١٣) وهى دراسة تشمل المترجم الهام ومنهجه، و«حنين ابن إسحق، فى ترجمات جالينوس السريانية والعربية، أخرجها وترجمها «جوتهلف برجشتريسر (١٩٢٥، وأخرجها مزودة باستكمالات مرة ثانية عام ١٩٣٢). أما يوليوس

هيـرشـبـرج (١٨٤٣ ـ ١٩٢٥) فـأخـرج دراسـات منهـا «الـكتب الدراسـيـة العربية فى طب العيون» (١٩٠٥)، وأما مـاكس مايرهوف (١٨٧٤ ـ ١٩٤٥) فـقـد تتـبـع الطـريق التى سلكهـا العلم الهللينى الإغـريقى حتـى وصل إلى العـرب فى «من الأسكندرية إلـى بغـداد. مقـال فـى تاريـخ التعليم الفلسـفى والطبـى عند العـرب» (١٩٣٠)، وشـبـيـه به تقـريـر يوزف شـاخت (١٩٠٢) «عن الهـللينيـة فـى بغـداد والقـاهـرة فـى القـرن الحـادى عـشـر» (١٩٣٦). وهنـاك بقلم مـاكس مايرهوف أيضًا ـ وكان يعمل عشـرات من السنين فى القـاهـرة طبيبًا للعيـون، والـف عـام ١٩٢٨ «عـشـر دراسـات فى الـعـيـون» ـ سلسلة كـبـيـرة من المـؤلفـات الـصـغـيـرة ومن المـقـالات المنشـورة فى المـجـلات تـدور حـول مـوضـوعـات طبـيـة تاريخـيـة، منهـا مـثـلاً: «نظرية أرسـطو فـى الـنـور عـنـد حـنـيـن ابن إسـحق» (١٩١١)، «وفـى تـاريخ الـدواء المصرى للعيون ششم» (١٩١٢)، «كتاب عـربى مجهـول فـى طب العيون من القـرن الـحـادى عـشـر» (١٩٢٨)، «فى علم الـعـقـاقـيـر وعلم النبـات لأحـمـد الـغـافـقـى» (١٩٣٠)، «مـقـدمـة لـعلم الـعـقـاقـيـر للـبـيـرونـى» (١٩٣٢)، «ابن النفيس ونظريته فى الدورة الرئوية» (١٩٣٥).

وقـد اشـتـغل بالعلوم الطبـيـعـية فى الإسـلام خـاصـة إيلهـارت فـيديمن (١٨٥٢ ـ ١٩٢٨) ويوليـوس روسـكا (١٨٦٧ ـ ١٩٤٩). ألّف فـيـديمن عـددًا هائلاً من المقـالات الصغيـرة تدور حـول مـوضـوعات مـختلفـة خاصـة فى ميدان الفيزياء والـتكنيك (منها حـوالى ٧٠ فى تقـريرات جلسـات جمعية الفـيـزياء والطب فى إرلنجن). واشـتـرك مع فـريدريش هـاوزر فى إخـراج مؤلَّف كبيـر عن «السـاعـات فى مجال الثقـافـة الإسلامية» (١٩١٥). وألّف روسـكا طائفـة من المـقـالات نشـرت بالمـجـلات عـلاوة على دراسـات مستقلة مختلفة منها «خالد بن زيد بن معاوية» (١٩٢٤)، «جعفر الصادق،

الإمـام الســادس» (١٩٢٤)، و«لوح الزبرجـد، دراســة فى تاريخ المـدونات السـحـرية» (١٩٢٦) و«كـتـاب الزاج والأمـلاح» (١٩٢٥) وترجـمـة المـانيـة لكتاب الرازى «سر الأسـرار» (١٩٣٧). أما تلميذ روسكا، المستشرق پاول كـراوس (١٩٠٧ ـ ١٩٤٦) الذى مـات مـبكرًا، فـقـد اشـتـغل فـى المـيـدان نفسـه، وأخــرج «جـابر بن حـيـان. مـقـال فى تاريخ الأفكار العلمـيـة فى الإسـلام» (١٩٤٢ ـ ١٩٤٣). وأنشـأ مـارتن پلسنر (١٩٠٠)، مـؤلف كـتـاب «تدبيـر المنـزل لبـروسـون الفـيـثـاغـورى المـحـدث وأثره على العلم فى الإسـلام» (١٩٢٨)، فـقـد كـتب دراســة عن «مـواد جـديدة فى تاريخ لوح الزبرجد» (١٩٢٧)، وأخرج ألفريد زيـجل (١٨٨٤ ـ ١٩٥٩) «قاموس عربى ألمـانى لمواد عوالم الطبـيـعة الثـلاثة التى تـرد فى مخطوطات الخـيـمـيـاء العربيـة» (١٩٥٠)، و«أسماء سـرية فى مدونات الخيمياء العـربية» (١٩٥١) و«فهرس مخطوطات الخيمياء العربية فى ألمانيا» (١٩٥٦)، وترجم زيجل عـلاوة على ذلك الأجـزاء الخـاصـة «بطب النسـاء، وعلم الأجنة وصـحـة النســاء» و«الكتب الهندية» و«الفـصـول التـمـهـيـدية» من كـتـاب فـردوس الحكمة لعلى بن ربان الطبرى (١٩٤١، ١٩٥٠، ١٩٥٣):

أمّا حـديثنا عن الدراسـات التى أجـريت فى مـيـدان الرياضـة والفلك فـسـيقل بكثـيـر عـن حـديثنا عن الدراسـات التى تمت فى مـيدان الـعلوم الطبـيـعـية، وقد كان بدوره يلتـزم الإيجـاز. اشـتـغل فى مـيـدان الدراسـات الدائرة حـول الرياضـة والفلك عند الـعـرب هاينرش زوتر (١٨٤٨ ـ ١٩٢٢) خـاصــة، وخلف لنا دراســة شــاملة هـى «الـرياضـيـون والفلكيـون الـعـرب وأعـمــالهم» (١٩١٠)، ثم تـلاه كـارل شـوى (١٨٧٧ ـ ١٩٢٥) وپاول لوكـاى (١٨٨٤ ـ ١٩٤٩)، فنشـر كارل شـوى «فى ظل المـيل وجـداول الظلال فى علم الفلك العربى. مقـال فى حسـاب المثلثات عند العـرب استنادًا إلى

مخطوطات لم تنشر» (١٩٢٣) و«نظريات حساب المثلثات عند الفلكى الفارسى ... البيرونى» (١٩٢٧)، ونشر لوكاى مؤلفات نشير على الأقل إلى آخرها الذى ظهر بعد وفاته «علم الحساب عند جمشيد بن مسعود الكاشى ولمحات إلى التاريخ القديم للحساب» (١٩٥١).

علم الآثار وتاريخ الفن

لعلم الآثار الإسلامية وتاريخ الفن الإسلامى حياتهما الخاصة يحيانها بوصفهما علمين مستقلين، وإن اتصلا بصلات تبادل وثيقة أحدهما مع الآخر، وارتبطا بالدراسات الإسلامية بمعناها الواسع. وهما، إذا كانا حديثَى النشأة، لا يبلغان من العمر إلا عشرات قليلة من السنين، قد بلغا فى هذه الفترة القصيرة ازدهارًا تامًا، بفضل الكفاءة العلمية العالية والقدرة التنظيمية البارعة التى تميّز بها العلماء الذين انشئوهما وطوروهما. وقد لعب التحمس الشخصى هنا دورًا حاسمًا، كما هى الحال فى كل عمليات الإنشاء الجديدة.

خرج الحافز الأول من السويسرى ماكس فان برشم (١٨٦٣ ـ ١٩٢١) الذى أسس علم النقوش العربية. ولكن فضل تأسيس علم الآثار العربية بحق يرجع إلى الرائدَين فريدرش زاره، وارنست هرتسفلد، كما يرجع فضل دفع تاريخ الفن الإسلامى ورفعه فى النهاية إلى مرتبة العلم القائم بذاته إلى إرنست كونل، يعينه ويسانده فى ذلك ڤيلهلم فون بوده (١٨٢٤ ـ ١٩٢٩) الذى بذل الجهود لإنشاء قسم خاص مستقل للفنون الإسلامية بالمتاحف البرلينية.

نظم فريدرش زاره (١٨٦٥ ـ ١٩٤٥) رحلات مختلفة للتنقيب عن الآثار، من بينها رحلة اشترك فيها مع إرنست هرتسفلد واتجهت إلى

منطقة الفرات ودجلة، وتمكّنت فى جولتين من اكتشاف مقر العباسيين فى سامراء، قبل أن تندلع نيران الحرب العالمية الأولى. ونشرت نتائج هذه الحفريات بعد ذلك فى ستة مجلدات، ظهرت الخمسة الأولى منها «حفريات سامراء» بين عام ١٩٢٣ وعام ١٩٣٠، وظهر المجلد السادس «تاريخ مدينة سامراء»، بقلم إرنست هرتسفلد عام ١٩٤٨. وكان فريدرش زاره محبًا للآثار الإسلامية يهوى جمعها، وقد عرض مجموعته على سبيل الإعارة فى برلين عندما عُيِّن عام ١٩٠٤ رئيسًا شرفيًا للقسم الإسلامى بالمتاحف البرلينية. وأسهم بصفته رئيسًا علميًا فى إقامة «معرض روائع الفن الإسلامى» الكبير وإنجاحه فى ميونخ عام ١٩١٠. وألّف «رسومات رضا عباسى» (١٩٠٤) الذى يبيّن مدى اهتمامه واشتغاله بفن تصوير الرسومات الدقيقة عند الفرس، ونشر «مجلدات كتب عربية» (١٩٢٣) به صور من مجموعته ومن المجموعات المحفوظة بالمتاحف، كذلك اهتم بفن السجاد والسيراميك والفن السلجوقى الدقيق وكتب عنها.

أمّا إرنست هرتسفلد (١٨٧٩ ـ ١٩٤٥) فكان معماريًا أصلاً، وحصر نشرياته فى مجال علم الآثار والطبوغرافيا (علم تخطيط الأرض). كتب مقالاً بعنوان «نشأة الفن الإسلامى ومشكلة مشتى» (١٩١٠) تناول فيه بالدرس البناء الذى وصلت واجهته إلى برلين كهدية من السلطان عبد الحميد وحفظت فى متحف القيصر فريدرش ببرلين، واعتبره قصر أحد الخلفاء الأمويين المتأخرين. وكتب دراسة أخرى موضوعها «بحوث فى الجغرافية التاريخية لمنطقة دجلة والزاب الصغير وجبل حرمين». أمّا أهم عمل أدبى له فقد قدمه فى الكتاب الذى أشرنا إليه من قبل عن

حفريات سامراء. ولا بأس من أن ننوّه إلى أن زاره وهرتسفلد اهتما كلاهما بآثار إيران وأثمر اهتمامهما بها الشئ الهام.

ثم يأتى إرنست كونل (١٨٨٢ ـ ١٩٦٤) الذى أتاحت له رحلاته العديدة وأعماله فى ميدان المتاحف معرفة مباشرة دقيقة بالفن الإسلامى وأفرعه المختلفة المتباينة المتعددة، وكان إلى هذا يتمتع بموهبة تنظيم آرائه العلمية ونتائج أبحاثه فى مؤلفات جامعة كبيرة، وعرضها فى شكل ميسور فى متناول جمهور واسع من القرّاء. وإليك نماذج من عناوين مؤلفاته الكثيرة خاصة من تلك التى تفتح الأفق بصفة عامة: «التصوير الدقيق فى الشرق الإسلامى» (١٩٢٢)، «الفن المغربى» (١٩٢٤)، «الفنون الإسلامية الدقيقة» (١٩٢٥، طبعة ثانية ١٩٦٣)، «رسوم هندية دقيقة» (١٩٣٧)، «فن الخط الإسلامى» (١٩٤٢)، «الزخرفة العربية. معنى وتحور زخرفة». (١٩٤٩). وأسهم إرنست كونل بمقالات قيمة فى الطبعة الثالثة من كتاب ڤيلهلم فون بوده «سجاد بلدان آسيا الدنيا فى العصور القديمة» (١٩٢٢، الطبعة الرابعة ١٩٥٥). أمّا كتابه الأخير «المشغولات العاجية الإسلامية»، فهو جاهز للطبع.

ونحب فى هذا المقام أن نشير إلى كتابين عامَّين مهمين لمؤلفين آخرين، كتاب أرنست ديتس «فن الشعوب الإسلامية» (١٩١٥ ـ ١٩١٧)، وكتاب هاينرش جلوك وإرنست ديتس «فن الإسلام» (المجلد الخامس من تاريخ الفن للناشر پروپلين، ١٩٢٥). وقد اضطلع هاينريش جلوك فى الكتاب الأخير ـ «فن الإسلام» ـ بكتابة الأجزاء الآتية: «مقدمات وبدايات» و«العمارة فى البلدان العربية والتركية»، «فن الكتاب وفن التصوير الدقيق»، واضطلع إرنست ديتس بكتابة: «عمارة الديار الفارسية والهند» و«الصناعات الفنية الإسلامية.

العناية بالدراسات العربية وتطوّرها
إلى العقد الرابع من القرن العشرين

لم يؤد استقلال الدراسات الإسلامية وتحوُّلها إلى علم قائم بذاته إلى قطيعة مع الدراسات العربية، بل على العكس، فقد أدى وجود أغلب المدوّنات الإسلامية مكتوبة باللغة العربية إلى جعل الاشتغال باللغة العربية أمرًا ملحًا فى ضرورته.

وينبغى على الإنسان أن يميّز فى الدراسات العربية بين الدراسات المختصة باللغة والدراسات المختصة بالآداب العربية، على أنه لا يمكن الفصل بين الطائفتين من الدراسات فصلاً قاطعًا، كما أنه لا يمكن الفصل القاطع بين الدراسات الإسلامية من ناحية والدراسات العربية من ناحية ثانية. فالاشتغال مثلاً بقصائد عربية يؤدى طبعيًا إلى مشكلات من شأن القواميس والنحويات، كذلك القواميس وكتب النحو إذا خلت من الإشارة الدائمة إلى النصوص تحوّلت إلى هياكل جامدة. كذلك ينبغى أن نراعى أن الدراسات العربية كثيرًا ما تتم فى إطار أوسع هو إطار الدراسات السامية ويكون لها بهذا أهمية من نوع خاص. واللغة العربية هى اللغة السامية التى أُوتيت أضخم أدب، لهذا فإنها عند الضرورة تفيد عند البحث عن استشهادات لإثبات وجود صيغ لغوية

ساميَّة مميزة للسامية. وقد مضت الأزمنة التى كانت الدراسات العربية فيها تجرى بوصفها ملحقًا لدراسات اللغة العبرية.

النحو

أسهم نولدكه فى النحو العربى بدراسات قيّمة، خاصة بالدراسات التى ظهرت فى مذكرات أكاديمية ڤيينا عام ١٨٩٧ «فى نحو اللغة العربية الفصحى»، والتى يسوق فيها استشهادات على قواعد النحو العربى، كل على حدة، وعلى ما يخرج عليها، بمجموعة هائلة من النصوص التى قرأها وانتخبها وأثبتها فى مذكراته لأهميتها النحوية. وقد أعيد طبع هذه الدراسة مرة أخرى عام ١٩٦٣ بعناية أنطون شپيتالر (١٩١٠) مزوّدة بإضافة كبيرة استخدمت فيها الملاحظات التى دوّنها نولدكه بيده فى نسخته وزيادات أخرى. كذلك أفاد النحو العربى إفادة كبيرة من دراسة نولدكه «فى لغة القرآن» التى ضمنها مجموعة «مقالات فى علم اللغات الساميّة» (١٩١٠). ويبدأ المؤلف فيها تحت عنوان «القرآن والعربية» بنقد ما روّج له كارل فولرس (١٨٥٧ - ١٩٠٩) فى كتابه «لغة العامة ولغة الكتابة فى بلاد العرب قديمًا» من أن النص الأصلى للقرآن كان مؤلفًا بلهجة من اللهجات كانت سائدة فى الحجاز وكانت خالية من الإعراب. أمّا كتب النحو الكاملة فنشير منها إلى «النحو العربى لكسپارى» الذى خرجت الطبعة الخامسة منه بتنقيح أوجست موللر (١٨٨٧)، ولكن هذا النحو قلت أهميته بعد ظهور الطبعة الثالثة من «نحو اللغة العربية» بقلم و. رويرتسن سميث و م. ج. دى جوج: فى جزءين باللغة الإنجليزية، الطبعة المسماة كاسپارى - رايت (١٨٩٦ - ١٨٩٨، أعيد طبعها عام ١٩٢٣، ثم ١٩٥١ و١٩٥٥). وهناك كتابان يعالجان تركيب الجمل بطريقة

منظمة، كتاب هرمن ركندورف (١٨٦٣ ـ ١٩٢٣) الأول «علاقات العبارات فى اللغة العربية» (١٨٩٥ ـ ١٨٩٨) بشروح تاريخية وسيكولوجية لكل ظاهرة من ظواهر العبارة العربية، وكتابه الثانى «العبارات العربية» (١٩٢١) الذى ينتهج سبيل الوصف خاصة والذى أصبح منذ ظهوره عُدة لكل دارس للعربية لا غنى له عنها، ولا يعيبه إلا أنه يستشهد بالشعر العربى والنثر العربى دون تفريق أو مراعاة لاختلاف النوعين فى القيمة.

كذلك ألّف ألبرت زوتسين (١٨٤٤ ـ ١٨٩٩) ـ الذى يرجع فى أصله إلى مدينة بازل فى سويسرا والذى خلف المستشرق فلايشر على كرسى الاستشراق فى لايبتسج ـ ألّف نحوًا عربيًا عام ١٨٨٥ نشر فى سلسلة «باب اللغات الشرقية»، تناوله كارل بروكلمن (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦) من الطبعة الخامسة (١٩٠٤) بالتنقيح والإكمال الدائم، ثم أظهره اعتبارًا من الطبعة الحادية عشرة (١٩٤١) تحت اسمه وحده. وقد ظهرت الطبعة الثالثة عشرة من هذا النحو العلمى المنهجى المزوّد بجداول الصرف عام ١٩٥٣. أمّا فى كتابه الآخر «أساسيات النحو المقارن للغات السامية» (المجلد الأول: النطق والصرف، ١٩٠٨، المجلد الثانى: تركيب العبارات، ١٩١٣)، فيعتبر واحدًا من أعظم الأعمال العلمية التى أخرجها هذا العالم المهم المنتج، ويعتبر مثل كتاب «العبارات العربية» لركندورف عُدة لا غنى لدارس العربية عنها. وقد نشر كارل بروكلمن كتابًا تعليميًا موجزًا للطلاب اسمه «موجز النحو المقارن للغات السامية» (المجلد ٢١ من سلسلة باب اللغات الشرقية، ١٩٠٨)، اقتصر فيه على قواعد النطق والصرف. وقد وصلتنا مجموعة كبيرة من المقالات الهامة أسهم بها أوجست فيشر (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩) فى النحو العربى، وأوجست فيشر هو أهم ممثل للمدرسة اللايبتسجية فى الاستشراق التى أسسها فلايشر،

وكان عالمًا يقوم بالدراسات النحوية قيام المحب لها المولع بها. وقد نشرت مقالات فيشر فى النحو العربى على أعوام عديدة خاصة فى مجلة الجمعية الشرقية الألمانية، وفى المجلة التى كان يخرجها هو نفسه «إسلاميكا»، وفى مقالات تكريم زملاء له، وفى هذه وتلك من النشريات، ولا يمكننا هنا أن ندخل فى تفصيلاتها، وإنْ أحببنا أن نشير إلى دراسته «صيغ الحَلِف والدعاء ذات الصعوبة النحوية فى اللغة العربية الفصحى»، التى ظهرت بعد وفاته فى مجلة «الإسلام» (١٩٤٩). ونعود هنا إلى الإشارة إلى الدراسة التى قام بها تلميذه جوتهلف برجشترسر (١٨٨٦ ـ ١٩٣٣) فى ميدان النحو التاريخى: «أدوات النفى والاستفهام وما إليها فى القرآن» (١٩١٤). وهناك تلميذ آخر من تلاميذ فيشر هو أرتور شاده (١٨٨٣ ـ ١٩٥٢) كتب رسالة الأستاذية فى «قواعد النطق عند سيبويه» (١٩١١). أمّا المستشرق جوتهولد ڤايل (١٨٨٢ ـ ١٩٦٠) فقد كتب دراسة خاصة «بالمدارس النحوية فى الكوفة والبصرة» بوصفها مقدمة لطبعة «كتاب الإنصاف» لابن الأنبارى (١٩١٣).

وقد دخلت اللهجات أيضًا فى الدراسات الدائرة حول النحو العربى، فأخرج ڤيلهلم شپيتا (١٨٥٣ ـ ١٨٨٣)، الذى كان قد استدعى للقاهرة ليعمل مديرًا لدار الكتب الخديوية، كتابه «نحو اللغة العربية الدارجة فى مصر» (١٨٨٠) عرضًا لنحو هذه اللهجة على نحو علمى لأول مرة، ثم أخرج خلفه فى إدارة المكتبة الخديوية بالقاهرة كارل ڤوللرس (١٨٥٧ ـ ١٩٠٩) كتابًا فى الموضوع نفسه «كتاب تعليم اللغة العربية الدارجة فى مصر» (١٨٩٠). ونشير فى هذا المقام أيضًا إلى هانس شتومه (١٨٦٤ ـ ١٩٣٦) وكتابه «نحو العربية الدارجة فى تونس ومعجم لها» (١٨٩٣) وجيورج كامپفماير (١٨٦٤ ـ ١٩٣٦) ودراساته «مقالات فى علم اللهجات

العربية» المجلدات من ١ إلى ٤ (١٨٩٩ ـ ١٩٠٣) وأوجوست فيشر ودراسته «فى قواعد نطق اللغة العربية العامية فى المغرب» (١٩١٧)، وليونهارد باور ودراسته «اللغة العربية الفلسطينية. لهجات أهل المدينة والفلاحين. قواعد وتمرينات ومجموعة نصوص» (الطبعة الثانية ١٩١٠، الطبعة الرابعة عام ١٩٢٦)، وجوتهلف برجشتريسر وكتابه «أطلس لغوى لسوريا وفلسطين» (١٩١٥) ودراسته «فى اللغة العربية الدارجة فى دمشق» (١٩٢٤)، و ف. ك. ڤايسباخ ودراساته «مقالات فى علم اللغة العربية الدارجة فى العراق» (١٩٢٤)، ونيكولاوس رودوكاناكيس (١٨٧٦ ـ ١٩٤٥) «اللهجة العربية الدارجة فى ظفار» (١٩٠٨ ـ ١٩١١) و ك. راينهارت ودراسته «لهجة عربية دارجة فى عمان وزنزيار» (١٨٩٤).

المعاجم

لم ينتج الاستشراق الألمانى فى ميدان دراسات المعاجم فى الفترة من بداية نشاط نولدكه إلى ثلاثينيات هذا القرن من النشريات إلا ما قلت أهميته، وأبرز ما فيه بحوث ل. فلايشر «دراسات فى ملحق دوزى للقواميس العربية» (١٨٨١ ـ ١٨٨٧، طبعت فى المجلد الثانى والثالث من الكتابات الصغيرة عام ١٨٨٨) وكتاب زيجموند فرنكل (١٨٥٥ ـ ١٩٠٩) «الكلمات الأجنبية الآرامية فى اللغة العربية» ١٨٨٦، أعيد طبعه فى عام ١٩٦٢) وهو دراسة شاملة مفيدة من ناحية تاريخ الثقافة أيضًا، وعمل فريدرش ڤيلهلم شڤارتسلوزه «أسلحة قدماء العرب حسب شعر شعرائهم. دراسة فى علم الآثار العربية وفى المترادفات وفى أبحاث المعاجم» (١٨٨٦)، وكتاب هانس كندرمن «السفينة فى اللغة العربية» (١٩٣٤)، وكتاب ريشر «ألفاظ مجموعة البخارى» (موقع عام ١٩٢٢)

الذى لم يطبع منه للأسف إلا عـدد قليل من النسخ. وينبـغى أن نبـرز ونخص بالتقدير المعجم الذى أرفقه أوجوست فيشر بكتابه «مختارات عربية من الناثرين» (١٩١٣، طبعات أخرى عام ١٩٢٤ و١٩٢٨ و١٩٤٨). أمّا «قاموس اللغة العربية الحديثة واللغة الألمانية» الذى أخرجه أدولف ڤارموند (١٨٢٧ ـ ١٩١٣) فى طبعة أولى عام ١٨٧٤ ـ ١٨٧٧، وثالثة عام ١٨٩٨، فإنه غير مُرضٍ تمامًا من الناحية العلمية، وأخرى بهذا الحكم قاموس إرنيست هاردر (١٨٥٤ ـ ١٩٢٧) المسمى «القاموس الألمانى العربى» الذى صدر عام ١٩٠٣. وأمّا القاموس العربى الألمانى لمحمد بروجش والذى نشر جزئيًا حسب مخطوط مكتوب باليد، فإنه لم يكتمل. وهناك قوامس صغيرة الحجم مفيدة أخرجها اليسوعيون فى بيروت، قاموس عربى فرنسى لاستعمال الطلاب بقلم ج. ب. بيلو، وقاموس عربى إنجليزى لاستعمال الطلاب بقلم ج. ج. هافا.

وإذا كان معجم اللغة العربية الفصحى الكبير لفريتاج (١٨٣٠ ـ ١٨٣٧) قد استعمل فى الفترة المذكورة (وبعدها) وعُدَّ وسيلة أساسية، فالفضل فى ذلك يرجع إلى أمور منها: أن قاموس إدوارد وليام لين «المعجم العربى الإنجليزى» فى ثمانية مجلدات كان قد ظهر فى الفترة بين عام ١٨٦٣ و١٨٧٤، وأكمل المادة التى عرضها فريتاج على نحو قيم، وصوَّب طرفًا منها كان يحتاج إلى التصويب .. ومع ذلك فقد ظهرت فى وقت مبكر الاتجاهات الأولى نحو تحسين المعينات القاموسية وتوسيعها بالنسبة للغة العربية، على أساس النصوص التى ظهرت مطبوعة. فقد ترك هاينرش توربكه (١٨٣٧ ـ ١٨٩٠) عند وفاته مجموعة بطاقات كبيرة جمعها لتكون معجمًا فى المستقبل، وسجل تيودور نولدكه فى نسخته الخاصة من معجم فريتاج أمثلة كثيرة جدًا ثمرة اشتغاله بالنصوص

العربية. (وقام يورج كريمر ببحث المواد التى سجلها نولدكه فى حرف الألف ونشرها فى «معجم الاستشهادات للغة العربية الفصحى، إعداد تيودور نولدكه» ١٩٥٢ و١٩٥٤. انظر بعده) وسجل هرمن ريكندورف (١٨٦٣ - ١٩٢٣) ملحوظات كثيرة على معجم فريتاج. أمّا أوجوست فيشر (١٨٦٥ - ١٩٤٩) فقد أخذ على عاتقه مهمة إنشاء معجم جديد علمى صحيح للغة العربية، وجمع مواد قاموسية كثيرة جدًا من مختلف مجالات العربية، وأعلن ابتداء من عام ١٩٠٧ أكثر من مرّة أنه يُعد معجمًا للغة العربية القديمة. ولكنه للأسف لم يتمكّن من تنفيذ المشروع العظيم. حقيقة أن صناديق البطاقات حملت إلى القاهرة عندما عيّن فيشر عضوًا بمجمع اللغة العربية عام ١٩٣٤، وأن فيشر اشتغل بإعداد مواد القاموس فى أثناء إقاماته الشتوية المنتظمة بالقاهرة، ولكنه لم يصل إلى الهدف، لنشوب الحرب العالمية الثانية وتعطيلها إياه. فلمّا انتهت الحرب، لم يتمكّن من اتباع دعوة الحكومة المصرية والعودة إلى القاهرة. ولم تنتج المواد القاموسية التى جمعها فيشر ثمارها إلا فى إطار «معجم اللغة العربية الفصحى» الذى بدأ فى الظهور عام ١٩٥٧، على نحو ما سنذكر فى موضع آخر. ونود فى ختام هذا العرض أن نشير إلى يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١) الذى اهتم فى دراساته القرآنية اهتمامًا شديدًا بالاستعمال اللغوى فى أعمال شعراء قبل الإسلام، وفكّر فى إنشاء معجم للشعر العربى القديم، وقام فى معهد الدراسات الشرقية بالجامعة العبرية التى افتتحت عام ١٩٢٥ فى القدس بتفريغ الدواوين العربية المطبوعة فى بطاقات لتحقيق هذا الهدف، ولكن شيئًا لم يخرج مطبوعًا من هذا المشروع.

وينبغى أن نشير إلى اشتراك علماء العربية الألمان فى تفريغ مؤلفات الحديث فى بطاقات، وهو عمل بدأ بعد الحرب العالمية الأولى إعدادًا «لمعجم الحديث المفهرس» الذى اضطلع ا. ى. فسينك بإخراجه .. وقد ظهرت من هذا المعجم المفهرس الضخم الذى يقصد إلى تبويب ألفاظ الحديث تبويبًا منظمًا، والذى يتّسم بأهمية كبيرة للمعاجم العربية عامة، خمسة أجزاء، فى الفترة بين عام ١٩٣٦ و١٩٦٥.

فهارس الكتب العربية . مجموعات المخطوطات وقوائمها

سبق أن أشرنا فى موضع آخر إلى كتاب كارل بروكلمن (١٨٦٨ - ١٩٥٦) «تاريخ الأدب العربى» الذى يضم فى مجلداته الخمسة الضخمة الأدب العربى كله، سواء المطبوع منه أو المخطوط، باستثناء المؤلفات اليهودية والمسيحية الخاصة. أمّا المؤلفات اليهودية فقد شملها كتاب موريتس شتاينشنايدر (١٨١٦ ـ ١٩٠٧) «الأدب العربى عند اليهود الذى ظهر عام ١٩٠٢ وتكرّر طبعه عام ١٩٦٤. وأمّا المؤلفات المسيحية فقد شملها كتاب جيورج جراف (١٨٧٥ ـ ١٩٥٥) ذو الأجزاء الخمسة «تاريخ الأدب العربى المسيحى» (١٩٤٤ ـ ١٩٥٣). وهناك بقلم ريشر «مختصر تاريخ الأدب العربى» فى جزءين (١٩٢٥ و١٩٣٣)، الذى ظهر للأسف فى ٦٠ نسخة منقولة بالطبع عن الأصل المخطوط.

وتتسع حركة طبع الأعمال العربية الكلاسيكية وبعد الكلاسيكية من عام إلى عام اتساعًا كبيرًا، ومع هذا فلا ينبغى أن ننسى أن جزءًا كبيرًا من الأدب العربى ما زال مخطوطًا حتى اليوم، وأن الجيل الذى شهد الانتفاضة الحديثة للدراسات العربية ونشأة الدراسات الإسلامية بوصفها علمًا مستقلاً، كان حظه من المؤلفات المطبوعة أقل بكثير من

حظ الجيل الحالى. وقد خرجت مجموعة من الأعمال الأدبية العربية الهامة، لا الأعمال الدائرة حول الدراسات الإسلامية فقط، بعناية مستشرقين أوروبيين لأول مرة مطبوعة، وكان للعلماء الألمان سهم وافر فى هذا النشاط. وكان الشرط الأساسى للطبع هو، بدهيًا، إثبات أصالة المخطوطات، لهذا كان الكشف عن المخطوطات العربية وجمعها ووصفها فرعًا هامًا من أفرع الدراسات العربية.

وقد استحق الويس شپرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣) التقدير لما جمع من مخطوطات عربية، فقد اكتشف أثناء إقامته فى الهند وأثناء رحلاته فى الشرق الأدنى مخطوطات نادرة، فاقتناها أو انتسخ منها نسخًا، حتى اجتمع له ٢٠٠٠ مجلد عاد بها إلى أوروبا، من بينها ١١٠٠ مخطوط عربى، اشترتها مكتبة برلين عام ١٨٥٨. وكان هاينرش پيترمن (١٨٠١ ـ ١٨٧٦) قد بعث خصيصًا إلى الشرق لشراء مخطوطات شرقية، وعاد ومعه مجموعتان. كذلك عرف هذا العرض جامعًا آخر للمخطوطات هو يوهان جوتفريد ڤيتسشتاين (١٨١٥ ـ ١٩٠٥)، كان يعمل فى دمشق قنصلاً لبروسيا (١٨٤٨ ـ ١٨٦٢) واقتنى أربع مجموعات من المخطوطات، ذهبت مجموعتان إلى برلين، ومجموعة إلى لايبتسج ومجموعة إلى توبنجن. وكلف ڤيلهلم آلڤارت (١٨٢٨ ـ ١٩٠٩) عام ١٨٦٣ بمهمة تبويب المخطوطات العربية، ببرلين فأخلص للمهمة الشاقة غير المجزية أيّما إخلاص، ولم يقف عند حد تقويم المخطوطات بنفسه، بل نظمها ووصفها لفائدة مَن قد يهتم بها من العلماء، وكرّس لهذا العمل عشرين سنة من عمره، وظهرت نتيجته فى عشرة مجلدات من الحجم الكبير (١٨٨٧ ـ ١٨٩٩) وأصبحت فى متناول المتخصصين. رسم آلڤارت صور شخصيات الأدباء المختلفين، وتتبع تطور الأنواع الأدبية المتباينة،

وقدّم ملخصًا دقيقًا لمضمون كل عمل، فاجتمع له بذلك كاتالوج مخطوطات يفوق المألوف من هذا النوع، ويحتفظ على الدوام بقيمة ثابتة فى تاريخ الأدب العربى، كاتالوج إذا ما قورنت به الكاتالوجات الأخرى صغرت وتضاءلت، وهكذا تتضاءل قيمة الشيء الحسن دائمًا إذا ظهر ما هو أفضل منه. ولكن لا ينبغى أن يعوقنا هذا عن التنويه بفضل العمل الزاهد الذى يكمن وراء كل مخطوط عربى جاهز للاستعمال. ولننتخب واحدًا على الأقل من أصحاب الكتالوجات؛ ننوّه به ممثلاً للكثيرين الذين لا يتيح لنا هذا المجال التنويه بهم، لنذكر إذن كرستيان زايبولد (١٨٥٩ ـ ١٩٢١) «مكتبة جامعة توبنجن. ثبت بالمخطوطات العربية» (١٩٠٧، أكملها عام ١٩٣٠ ماكس فايسفايلر).

شعراء عرب

يحتل شعراء قبل الإسلام وشعراء صدر الإسلام مكانًا عاليًا فى ميدان دراسة الأدب العربى الذى لا يتخذ من الدين موضوعًا له. وقد نشر نولدكه وترجم وشرح قصائد عروة بن الورد (١٨٦٣)، كما ترجم مقدمة كتاب ابن قتيبة فى حياة الأدباء ضمن «دراسات لمعرفة شعر قدماء العرب» (١٨٦٤)، وكتب عن «قصائد اليهود فى الجزيرة العربية»، و«مالك ومتمم ابنَى نويرة» و«الخنساء» و«البدو بوصفهم مُضَلِّلين للواثقين فيهم». كذلك ترجم وشرح خمسًا من المعلقات (١٨٩٩ ـ ١٩٠١). وجمع فى كتابه «مختارات من الشعر العربى» باقة يانعة من الشعر العربى حتى نهاية العصر الأموى، لاستعمالها فى أغراض الدرس، وما زال الكتاب يستعمل حتى اليوم (١٨٩٠ وأعيد طبعه عام ١٩٣٣ و١٩٦١، وزوّده أوجوست موللر بمعجم). أمّا هاينرش توربكه (١٨٣٧ ـ ١٨٩٠) فقد أخرج

المفضليات، غير كاملة، (١٨٨٥)، فى حين سار يوليوس ڤيلهاوزن فى أعقاب طبعة كوزيجارتن (الجزء الأول عام ١٨٥٤)، ونشر «الجزء الأخير من ديوان الهذليين، بالعربية والألمانية» (١٨٨٤). واشتغل جولدتسيهر بديوان الحطيئة (١٨٩٣) ونشر دراسة «عن التاريخ الأول لشعر الهجاء» (١٨٩٦)، ونشر ڤيلهلم آلڤارت (١٨٢٨ - ١٩٠٩) خمريات أبى نواس (١٨٦١)، ودواوين النابغة وعنترة وطرفة وزهير وعلقمة وامرئ القيس (١٨٧٠) والأصمعيات (١٩٠٢) ودواوين شعراء الرجز رؤبة بن العجاج وابن قيس الرقيات وأبى المرقال (١٩٠٣) وكوّن رأيًا فى مسائل أساسية فى الدراسات العربية فى دراسته «ملاحظات على أصالة القصائد العربية القديمة» (١٨٧٢). وجاء المستشرق النمساوى العالم بالدراسات العربية رودولف جاير (١٨٦١ - ١٩٢٩) فنشر فى «أراجيز عربية قديمة» (١٩٠٨) و«مقالات فى ديوان رؤبة» (١٩١٠) ملاحق ومكملات كبيرة لطبعات آلڤارت التى خص بها شعراء الرجز، كذلك نشر جاير «قصائد ومقتطفات لأوس بن حجر» (١٨٩٢) وقصائد «ميمون بن قيس الأعشى مع قصائد لشعراء آخرين بالاسم نفسه وقصائد المسيب بن علس» (١٩٢٨). أمّا مواطنه نيكولاوس رودوكاناكيس (١٨٧٦ - ١٩٤٥) فقد نشر طبعة نموذجية من ديوان ابن قيس الرقيات مع ترجمة ومقدمة (١٩٠٢) ونشر دراسة طريفة عن «الخنساء ومراثيها» (١٩٠٤). ونشر المستشرق السويسرى فريدرش شولتهس (١٨٦٨ - ١٩٢٢) ديوان حاتم الطائى مع ترجمة له (١٨٩٧) كما نشر وترجم مقتطفات القصائد التى نقلها الرواة منسوبة إلى أمية بن أبى الصلت (١٩١١). ونشر پاول شڤارتس (١٨٦٧ - ١٩٣٨) طبعة من ديوان عمر بن أبى ربيعة مع عرض ممتاز للغته وأسلوبه وأوزانه (١٩٠٢ - ١٩٠٩) ونشر يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ - ١٩٣١)

هاشـميـات الكميت (١٩٠٤) وأخـرج ياكـوب بارت (١٨٥١ ـ ١٩١٤) ديوان القطامى (١٩٠٢)، ونشـر يوزف هل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) طبـقـات الشـعـراء للجـمحى (١٩٢٠) ودواوين جديدة للهذليين (١٩٢٦ و١٩٣٣ مع ترجمة) والجـزء الثانى من ديوان الفـرزدق (١٩٠٠ ـ ١٩٠١). وقدّم جيورج ياكوب (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) فـى الكراسـتـين الأولـيـين من «دراسـات فـى الـشـعـراء العـرب» (١٨٩٣ و١٨٩٤) دراسات لفهم المعلقات. كذلك نشر طبعة نص تمتاز بالعمق، ومزوّدة بترجمة وتعليق (دراسات «الشنفرى» عام ١٩١٤ و١٩١٥) وترجمة ألمانية أدبية ممتازة للامية العرب (١٩٢٣). وبث هلموت ريتر دراسته «فى لغة نظامى التصويرية» (١٩٢٧) ملاحظات من بينها ملاحظات ذات أهمية بالغة فى الشعر العربى. وفى ختام عرضنا هذا نشير إلى ثلاثة أعمال اختصت الشعر العربى الشعبى بالدرس: «القصيدة العربية ذات المقاطع» أولاً: «الموشح» (١٨٩٧) بقلم مارتن هرتمن، وديوان من وسط الجزيرة العربية، جمعه وترجمه وشرحه «ألبرت زوتسين» (١٨٤٤ ـ ١٨٩٩) ونشره هانس شتومه، عام ١٩٠٠ و١٩٠١، و«حركات حديثة فى الشعر الفنى العراقى المعاصر» (١٩٢٦) بقلم أرتور شاده (١٨٨٣ ـ ١٩٥٢).

وقد أيقظ الاشتغال بالشعر العربى القديم بالضرورة الاهتمام بالبيئة التى عاش فيها الشاعر والتى ينبغى أن نفهمه على أساسها. ونشر إنو ليتمن (١٨٧٥ ـ ١٩٥٨) الذى صنع لنفسه اسمًا فى ميدان دراسة النقوش السامية، وشرح فى مؤلفات عديدة نقوشًا عربية قديمة وملخصًا لنتائج أبحاثه فى «ثمود وصفا. دراسات فى علم نقوش الشمال العربى» (١٩٤٠) كذلك أعطى يوليوس فيلهاوزن بكتابه «بقايا جاهلية عربية» (١٨٨٧، طبعة ثانية ١٨٩٧) صورة من عالم العرب الأقدمين من وجهة

النظر الدينية التاريخية. وأخذ جيورج ياكوب (١٨٦٢ ـ ١٩٣٧) فى اعتباره الثقافة المادية عندما أنشأ كتابه الذى لا يزال جديرًا بالقراءة «حياة البدو قبل الإسلام» (١٨٩٥، طبعة ثانية ١٨٩٧)، ولا يفوتنا أن ننوّه فى هذا المقام بإريش بروينلش (١٨٩٢ ـ ١٩٤٥) وكتابه «بستام بن قيس» (١٩٢٣). وهناك كتاب فريدريش فيلهلم شفارتسلوزه «أسلحة العرب الأقدمين فى شعر شعرائهم» (١٨٨٦) وكتاب إريش بروينلش (١٨٩٢ ـ ١٩٤٥) «البئر فى بلاد العرب قديمًا» (١٩٢٥) اللذان يمدان القارئ بمعلومات فى موضوعات خاصة معيّنة. ولما كانت نظم الحياة وأشكالها ثابتة فى المنطقة الداخلية من الجزيرة العربية، وكان ذلك الثبات مميزًا لها حتى العشرات الأولى من القرن العشرين فقد اتخذت المؤلفات الحديثة التى تصوّر الأحوال فى تلك المنطقة حاليًا أهمية كبيرة بوصفها وسيلة لمعرفة الأحوال فيها قديمًا، سواء كانت هذه المؤلفات تقارير رحالة أو دراسات جغرافية عامة. من تقارير الرحالة نشير إلى كتاب يوليوس أويتنج (١٣٨٩ ـ ١٩١٣) الفريد «يوميات رحالة فى داخل الجزيرة العربية» (فى مجلدين ١٨٩٦ ـ ١٩١٤)، ومن الدراسات الجغرافية نشير إلى كتاب برنهارد موريتس (١٨٥٩ ـ ١٩٣٩) «البلاد العربية .. دراسات فى جغرافيتها الطبيعية والتاريخية» (١٩٢٣)، وإلى كتاب ڤالتر ليش (١٩٣١) «بلاد العرب» الذى يعطى تصويرًا صغيرًا تخطيطيًا لها. أما كتاب ماكس فون أوبنهايم (١٨٦٠ ـ ١٩٤٦) الكبير «البدو» فمفيد على نحو خاص، وقد ظهر المجلدان الأولان منه بمعاونة إريش بروينلش وڤرنر كاسكل فى عام ١٩٣٩ و١٩٤٣، ونشر كاسكل الجزء الثالث بمفرده فى عام ١٩٥٢، وينتظر صدور جزء رابع من الكتاب.

النثر العربى

ينقسم قطاع النثر العربى الفنى غير العلمى إلى قسمين: قسم أعمال الأدب، أى الأعمال الثقافية العامة، وقسم الأعمال الشعبية التى تستهدف التسلية فحسب، على أن نراعى أن الفصل بين القسمين لا يمكن أن يتم بشكل نهائى قاطع، فهناك الأعمال الشعبية الهادفة إلى التسلية فقط التى تضفى على نفسها مسحة من الأساس العلمى، ونقصد بذلك إلى أنه ينبغى على الناس أن يأخذوها هى أيضًا مأخذ الجد.

أخرج بروكلمن ثلثا من كتاب أدبى نموذجى هو «عيون الأخبار» لابن قتيبة (١٩٠٤ إلى ١٩٠٨)، وعالج أوسكر ريشر (١٨٨٣) «كتاب الأدب الكبير لابن المقفع» عام ١٩١٧. كذلك كتب جوستاف ريشتر (١٩٠٦ - ١٩٣٩) مقالاً فى بعض المجلات «فى كتاب الأدب الصغير لابن المقفع» (١٩٣١)، ودراسة خاصة هى «دراسات فى تاريخ أصول عربية قديمة لمرآة الأمراء» (١٩٣٢). وكتب ألفرد ڤينر فى موضوع على الحدود بين الأدب الفنى والأدب الشعبى فى مقال تفصيلى نشر ببعض المجلات عام ١٩١٣ بعنوان «فى أدب الفرج بعد الشدة» كما كتب ب. لوزن (١٩٢٥) مقالاً عن أهم أديب يمثل هذا الفرع «التنوخى، طريقته وفنه»، وأخرج رودى پارت (١٩٠١) موجزًا لموضوعات قصص غرامية من كتاب ابن السراج المسمى «مصارع العشاق» فى مقال بعنوان «قصص غرامية عزبية قديمة. دراسة فى تاريخ الأدب المقارن» (١٩٢٧)، وعالج ڤرنر كاسكل (١٨٩٦) فرعًا من فروع الأدب يمتاز بالتأثير والجاذبية هو «أيام العرب الأقدمين» فى دراسة خاصة صغيرة «أيام العرب. دراسات فى الفن الملحمى العربى القديم» (١٩٣٠).

وكثيرًا ما عالج المستشرقون الأعمال الشعبية المسلية العامة، ونذكر منها أول ما نذكر «ألف ليلة وليلة»، أخرج ترجمة ممتازة لها المستشرق إنو ليتمن (١٨٧٥ ـ ١٩٥٨) فى ستة أجزاء بين عامى ١٩٢٢ و١٩٢٨ بعنوان «حكايات من ألف ليلة وليلة» وألحقها بدراسة «عن نشأة ألف ليلة وليلة وتاريخها». وقد تناول ليتمن ألف ليلة وليلة بالدرس مرة أخرى، وكتب مقالاً صغيرًا عنها بعنوان «ألف ليلة وليلة فى الأدب العربى» (١٩٢٣). وهناك مقال مفيد ممتاز بقلم يوزف هوروفيتس (١٨٧٤ ـ ١٩٣١) نشره فى «مجلة الأمم» عام ١٩٢٧ عن «نشأة ألف ليلة وليلة»، ومقال آخر بقلمه أيضًا نشر بمناسبة تكريم زاخاو، رد فيه «الاستشهادات الشعرية فى ألف ليلة وليلة» إلى أصولها (١٩١٥). وفى عام ١٩٢٥ نشر أُوسكَر ريشر ترجمة ألمانية لكتاب أوستروب الأساسى «دراسات فى ألف ليلة وليلة»، ولكنه طبع ٦٠ نسخة فقط. وكان ريشر قد نشر فى عام ١٩١٩ بحثًا فى مجلة «الإسلام» عن دراساته الخاصة فى مضمون ألف ليلة وليلة. وكتب أرتور شاده دراسة اتخذ فيها رأيًا فى «أصل بعض قصص أبى نواس وصيغتها الأولى فى ألف ليلة وليلة» (١٩٢٤ ـ ١٩٣٦).

وهناك نشريات خاصة بالروايات الشعبية العربية والأساطير العربية التى تحكى عن الغزوات فى عصر النبى محمد: حكايات بنى هلال ـ (١٨٩٩) بقلم مارتن هرتمن (١٨٥١ ـ ١٩١٨)؛ ورواية عنترة العربية (١٩٢٥) و«أهمية رواية عنترة العربية فى تاريخ الأدب المقارن» (١٩٣١) بقلم برنهارد هيللر؛ و«سيرة سيف بن ذى يزن .. رواية شعبية عربية» (١٩٢٤) و«تاريخ الإسلام فى مرآة الأدب الشعبى العربى» (١٩٢٧)، و«رواية عمر النعمان الفرسانية وعلاقتها بألف ليلة وليلة» (١٩٢٧)

و«أدب المغازى الأسطورى. أعمال أدبية عربية عن الغزوات الإسلامية فى عصر محمد» (١٩٣٠) بقلم رودى بارت أو «الكتاب الشعبى العربى عن الملك الظاهر بيبرس» (١٩٣٦) بقلم هلموت ڤانجلين.

ولا يفوتنا أن نذكر فى ختام كلامنا نشريات صغيرة تعالج موضوعات أدبية مختلفة الأنواع: من تأليف جيورج ياكوب (١٨٦٢ - ١٩٣٧) «دراسات فى نصوص ألعاب خيال الظل العربى لابن دانيال» (١٩١٠ وما بعدها)، ومن تأليف كارل بروكلمن «أمثال وحكايات الحيوان فى الأدب العربى القديم» (١٩٢٦)، ومن تأليف رودى بارت «العنصر التراجيكى فى الأدب العربى» (١٩٢٨ - ١٩٢٩).

الاستشراق الألمانى منذ عام ١٩٣٣

كان للحرب العالمية الأولى أثرها على الاستشراق الألمانى، فأصابت من المستشرقين مَن نعلم ومَن لا نعلم. وقد كان من نتائجها أن خسرت ألمانيا مستعمراتها فى أفريقيا، وليس من الممكن الجزم بأن ضياع هذه المستعمرات كان له أثر سيئ على تقدم الاستشراق. والحقيقة أن ضياع هذه المستعمرات أدى إلى ضياع حافز مباشر على الاشتغال بالعالم الفكرى للمسلمين فى المستعمرات الألمانية بشرق أفريقيا. ولكن ابتعاد الألمان عن كل ألوان السيطرة السياسية على قطاع المستعمرات صفّى الجو بين الألمان والشرقيين وأدى إلى تحوّل الدراسات الاستشراقية فى ألمانيا إلى علم مجرّد عن الغرض تمامًا. وهكذا بقى الاهتمام بعالم الإسلام وبكل مظاهر النشاط فيه مستمرًا قويًا بعد نهاية الحرب بل وازداد قوة بما أوتى من حافز جديد.

أما استيلاء النازى على السلطة فى ألمانيا فى عام ١٩٣٣ والتطوّر الذى مرّت به ألمانيا نتيجة لذلك، فقد أدى إلى الإضرار بالدراسات الاستشراقية فى ألمانيا. وأصيب أولئك العلماء الذين كانوا يقومون بعملهم حتى ذلك الوقت دون أن ينالهم ضرر .. أصيبوا بالرعب المعنوى

المتزايد، بأنهم أبقوا على إحساس فطرى بالحق والإنسانية ... واضطُر منهم مَن اضطر إلى الهجرة. وكانت النتيجة نقصًا واضحًا فى عدد المستشرقين من ناحية، ومن ناحية أخرى إحساس المستشرقين الذين ظلوا فى ألمانيا ولم يهاجروا .. بالحرج نتيجة لتصوّرهم أن مجتمع العالم الحر يعاديهم. فلما جاءت الحرب العالمية الثانية بلغت بالمحنة قمة أخرى أكثر ارتفاعًا. فقد اختطف الموت عددًا من المستشرقين الذين كانوا يعيشون ويصوّرون أنفسهم من الناحية الفكرية كمن يعيش على جزيرة ... فلما انتهت الحرب كان علينا أن نعانى من الجوع والبرد، وأن نعانى من الإحساس بالمشاركة فى تحمل مسئولية أعمال الحكم النازى.

والناس يتحدّثون كثيرًا عن معجزة النهضة الاقتصادية بعد الحرب. ونحن كذلك نحس بمعجزة من الناحية المعنوية، أدت إلى تمكننا من استعادة العلاقات الفكرية بأهل العالم الحر، أو إلى تمكّننا من التمهيد لها، وأدت إلى عودة تدريجية للتبادل العلمى بين المستشرقين الذين ظلوا فى ألمانيا، وبين الذين آثروا الهجرة ... وعاد الاستشراق الألمانى عضوًا فى جماعة العلماء الدولية[1].

(١) تصرفنا فى ترجمة أجزاء من هذا الفصل ... (المترجم).

الدراسات الإسلامية

اتساع ميدان العلم. دليل الاستشراق

كان علم الدراسات الإسلامية ذلك الفرع الصغير نسبيًا فى شجرة علوم الاستشراق، واضح المعالم والحدود نوعًا ما فى مطلع القرن العشرين. فلما ظهر كتاب جوستاف بفانموللر فى عام ١٩٢٣ «دليل الأدب الإسلامى» (استعملت الكتاب فى حديثى عن الفترة القديمة فى أكثر من موضع وأخذت عنه أحيانًا حرفيًا) كانت المادة التى عالجها العلماء المتخصصون فى الاستشراق قد نمت نموًا عظيمًا. ومنذ ذلك الحين حتى الآن ظهرت أبحاث تفصيلية وإجمالية كثيرة كثرة تجعل من المحال تقريبًا أن يعرف الإنسان طريقه وسط الكمية الضخمة من النشريات أو حتى أن يلم بأسمائها وموضوعاتها بانتظام. وربما سهل الأمر على مَن عاصر العشرات الأخيرة من هذا النمو الهائل شخصيًا، أما الطلاب الذين يهبون مادة الدراسات الإسلامية أنفسهم فى الوقت الحاضر، فإن الوضع بالنسبة إليهم يلوح كأنه مُيئِس، فهم يجدون أنفسهم حيال جبل من المؤلفات المتخصصة، ويبحثون بلا جدوى عن مرشد، فلا يجدون.

لهذا كان اهتمام برتولد شپولر (١٩١١) بإخراج «دليل الاستشراق» أمرًا يستوجب الترحيب فى هذه الظروف، وهو كتاب يهدف إلى تمهيد الطريق أمام الطالب إلى مادة علوم الاستشراق المختلفة، على نحو منظم. وقد ظهر المجلد الأول الخاص بـ «تاريخ البلاد الإسلامية» يجمع فصولاً بقلم شپولر نفسه وبقلم ى. كيسلنج وهـ. شيل و ج. يشكه وآخرين فى ثلاثة أجزاء عام ١٩٥٢ و١٩٥٣ و١٩٥٩، وظهر المجلد الخاص بالأديان يجمع فصولاً بقلم يوهان فوك عن السنية، وبقلم ر. شتروتمن عن الشيعة والخوارج عام ١٩٦١. وظهر المجلد الخاص بالشريعة الإسلامية بتمهيد فى الشريعة الإسلامية الأساسية بقلم أوتو شپيس وا. بريتش، ويجمع فصولاً مختلفة عن الشريعة حديثًا فى البلاد الإسلامية المختلفة (بقلم متخصصين أجانب) عام ١٩٦٤. ويُلاحظ أن الأجزاء المكوّنة لهذا الكتاب الكبير جاءت متفاوتة نوعًا ما فى لونها، كما يحدث عادة عندما يشترك نفر كبير من العلماء المتخصصين فى إنشاء عمل واحد. على أن هذا الكتاب فى مجموعه لا يعدو أن يكون معينًا أوليًا يفيد المبتدئين خاصة.

والصعوبات الحقيقية لا يمكن التغلُّب عليها بكتاب دليل ولو كان الكتاب الدليل مثاليًا غير ذى تفاوت فى أجزائه. وتصور إمكانية الإحاطة بكل ميادين الدراسات الإسلامية إحاطة علمية شاملة والقيام علاوة على ذلك بالبحث، على فرض توافر الوقت والطاقة، تصوّر يتأكد بمرور الوقت مدى ما يعتوره من وهم. وقد جمع برتولد شپولر ولودفيج فورر عناوين المؤلفات التى ظهرت فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٩ و١٩٤٩ خاصة بالشرق الأدنى وذلك فى السلسلة التى يخرجها كارل هون عن تقارير الأبحاث العلمية، واحتاجا لذلك إلى أكثر من ٢٠٠٠ صفحة.

كـذلك صنف ج. د. بيـرسن «الفـهـرس الإسـلامى» وهـو قـائمـة تضم الدراسـات التى نشـرت بـالمـجـلات ومـجـمـوعـات المـقـالات خـاصـة بالدراسـات الإسلامـية (يعنى دون ما نشـر فى شكل كتب) فى الفتـرة بين ١٩٠٦ و١٩٥٥، فـزادت علـى ٢٦٠٠٠ عنوان، ثم أتبع الفـهـرس بمـجلد للأعـوام مـن ١٩٥٦ إلى ١٩٦٠ يضم مـا يـزيد علـى ٧٢٠٠ عنـوان. فـمن ذا الذى يستطيع الإحـاطة بمادة فى هـذا الحجم؟! ليس أمام العلماء من حل سوى اختيار طائفـة محدودة من الموضوعات من بين الكمية الهـائلة من موضـوعات العلم والبـحث المتشـعبة، وتركيز البـحث الخاص على نقط بعـينهـا، والرضـا فـيـمـا عـدا ذلك بفكرة إجـمـاليـة عـامـة عن العلم فى مجموعه. وهـذا هـو مـا حدث حتى الآن فعليًا، وإن يكن عن قصد وشعور واضح فى كل الأحوال. كل مـستشـرق له ميـادين تخـصـصـه التى يتـقنها نوعًا مـا، فى حين يعـرف مـيـادين العلم الأخـرى مـعـرفـة يشـوبهـا النقص. وليس المـهم أن يكون الإنسـان عليـمًا بكل شىء، ولكن المـهم هو أن يضع مِجسَّه على نقـاط تتسم، إذا مـا قيست بـالمـادة فى مـجموعهـا، بالأهمية وتؤدى علـى هـذا النحـو إلى فـهم شـىء جـوهـرى. على أنه من المـرغـوب فيه، أن يقوم العـالم المتخـصص الذى تدفعه الظروف التى أشرت إليها، إلى أن يصبح متـخـصصًا فى مـوضـوعات بعينهـا، بتلخيص نتـائج أبحـاثه وخلاصة أفكاره وتوصيلها فى لغة مفهومة إلى زمـلائه فى التخصص من نـاحيـة وإلى غـيـر المـتـخـصـصـين من نـاحـية ثانـية. وهـذه هـى الوسـيلة الوحـيدة التى يمكن بها للمتخـصص أن يضع نفسه فى إطار أوسع ينتج مـا فيه النفع والفـائدة. فـإذا لم يفـعل، تعرض لـخطر التحـوُّل إلى شـخص غريب الأطوار بما أُوتى من علم متخصص.

والأرقام التى أشرنا إليها ممثلة للنمو الهائل فى النشريات الاستشراقية، تعنى الإنتاج العالمى كله، لا الألمانى وحده، وللألمان فيها نصيب. ونصيب الألمان فيها خاصة فى فترة العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة نصيب كبير، خاصة فى ميدان الدراسات الإسلامية.

طبعات كتب السير. دراسات المخطوطات وقوائم المخطوطات

يختص عدد كبير من نشريات الدراسات الإسلامية الحديثة بتسجيل النصوص العربية وإعدادها (وكذلك الفارسية والتركية)، وهو عمل يُعد تمهيدًا هامًا للأبحاث التفصيلية التالية. هكذا اضطلع نفر من المستشرقين بإخراج طبعات من بعض كتب السير، فاشتغل هلموت ريتر و ز. ديدرنج بكتاب الصفدى الضخم «الوافى بالوفيات» وهو كتاب كأنه تكملة لكتاب ابن خلكان «وفيات الأعيان»، وأخرجا منه (منذ ١٩٣١) أربعة مجلدات. ويشتغل يوزف فان إيس (١٩٣٤) حاليًا بإخراج طبعة من الجزء التاسع. وقد نشر مانفرد فلايشمن (١٩٢٨) كتاب ابن حبان البستى «مشاهير علماء الأمصار» (١٩٥٩)، ونشرت زوزانه ديڤالد - ڤيلتسر كتاب ابن المرتضى «طبقات المعتزلة» (١٩٦١)، ونشر رودلف زيلهايم (١٩٢٨) «كتاب سير العلماء لأبى عبد الله المرزبانى». (١٩٦٤) = «نور القبس المختصر من المقتبس فى أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء».

وينبغى أن نشير فى هذا المقام إلى الدراسات الكثيرة التى تناولت المخطوطات متفرقة أو مجموعات المخطوطات، خاصة فى استنبول والأناضول. وقد حفّز إلى هذه الدراسات المستشرق هلموت ريتر الذى ظل يعمل فى استنبول سنوات عديدة. ونشر هلموت ريتر مجموعة من

الدراسات الهامة فى هذا الموضوع (ظهرت فى «أنباء استنبولية» ١، ١٩٣١، ثم تحت عنوان «فيلولوجيكا» فى مجلة «الإسلام» ابتداء من عام ١٩٢٨، وفى مجلة «أورينس» ابتداء من عام ١٩٤٨). وظهرت الدراسات التالية، بعضها باقتراح منه، وبعضها مستقلة عن تأثيره بقلم يوزف شاخت (١٩٠٢) «من مكتبات القسطنطينية والقاهرة» (١٩٢٨) و«من مكتبات القاهرة» (٢، ١٩٣٠) و«من مكتبات شرقية» (٣، ١٩٣١). وبقلم اوتوشپيس (١٩٠١) «دراسات فى تاريخ الأدب العربى. رجال قانون، مؤرخون، علماء حديث» (١٩٣٢) وبقلم ماكس فايسفايلر (١٩٠٢) «دراسات فى المخطوطات الاستنبولية الخاصة بمدونات الحديث» (١٩٣٧). وبقلم ماكس كراوزه (١٩٠٩ ـ ١٩٤٤) «مخطوطات استنبولية لرياضيين إسلاميين» (١٩٣٦) وبقلم أوتو شپيس «مكتبات الحجاز» (١٩٣٦) وبقلم ڤالتر هينتس (١٩٠٦) «دراسات فى مصادر تاريخ التيموريين» (١٩٣٦). وبقلم فريتس ماير (١٩١٢) «مخطوطات استنبولية لثلاثة متصوفين فارسيين» (١٩٣٧) وبقلم لودڤيج فورر (١٨٩٧) «مخطوطات مؤرخين إسلاميين فى استنبول» (١٩٤٢) وبقلم يورج كريمر (١٩١٧ ـ ١٩٦١) «دراسات ليجاخو[1] فى فقه اللغة العربية قديمًا» (١٩٦١). وبقلم ڤيلهلم هونرياخ (١٩١١) «فى بعض المخطوطات ببغداد وتطوان» (١٩٥٥)، وقد بدأ شتيفان ڤيلد (١٩٣٧) فى إنشاء وصف للمخطوطات العربية فى صنعاء.

وهناك مشروع هام بدأت الجمعية الشرقية الألمانية بمعاضدة جماعة البحث الألمانية عام ١٩٥٧ فى تنفيذه، وهو إعداد كاتالوج

---

(١) ليجاخو Legajo كلمة إسبانية تعنى، كما ذكر لى الأستاذ الدكتور رودى بارت فى خطاب أرسله إلى، مخطوطات بالمكتبات الإسبانية لم تبوب بعد لأنها ناقصة. (المترجم)

للمخطوطات الشرقية فى ألمانيا، ويسير المشروع بخطى حثيثة تحت إشراف فولفجنج فوجت، أول مدير للجمعية، الذى يضطلع بالإشراف والتحرير الإجمالى. ولم يبدأ العمل بعد بالنسبة للدراسات الإسلامية والدراسات العربية. ويتلخص المشروع فى وصف الآلاف من المخطوطات العربية والفارسية والتركية التى لم تبوب بعد. وقد اضطلع رودولف زيلهايم (١٩٢٨) بالعمل فى المخطوطات العربية بالاشتراك مع پاول ڤرنست (١٩٢١) وإيڤالد ڤاجنر (١٩٢٧) وڤولفجنج رويشل (١٩٢٤) و ح. جنجانى/ تونس. أما العمل فى المخطوطات الفارسية فيقوم به ڤيلهلم إيلرس (١٩٠٦) مع ڤيلهلم هاينتس، وفى المخطوطات التركية مانفرد جوتس وباربرا فلمنج وهنّا زورڤايده.

بلاد العرب قديمًا . محمد والقرآن

ظهرت كتب تعالج البلاد العربية قديمًا، منها الجزء المسمى «بلاد العرب» الذى ظهر عام ١٩٦٣ فى إطار الكتاب الأساسى فى علوم الآثار، وألّفه أدولف جرومن (١٨٨٧)، والجزءان اللذان صدرا حتى الآن من كتاب «العرب فى العالم القديم» (١٩٦٣ و١٩٦٥) من تأليف ف. ألتهايم ور. شتيل. هذا إلى مقالات صغيرة ولكن قيمة، ظهرت حديثًا منها: من تأليف ڤرنر كاسكل (١٨٩٦) «مملكة لحيان العربية» (١٩٥٠) و«لحيان واللحيانية لغة وثقافة مملكة عربية قديمة» (١٩٥٤)، و«أهمية البدو فى تاريخ العرب» (١٩٥٣) و«كشوف فى بلاد العرب» (١٩٥٤). ومن تأليف يوزف هينيجر (١٩٠٦) «التضحية غير الدموية بالحيوان فى عصر ما قبل الإسلام، من وجهة نظر علم الأجيال» (١٩٥٠)، «هل ما يسمى تقرير نيلوس مصدر علمى دينى صالح للاستعمال؟» (١٩٥٥) و«التضحية

بالبشر عند العرب» (١٩٥٨) «فى علم التنجيم وتقديس النجوم فى شمال ووسط بلاد العرب» (١٩٥٤) و«الاعتقاد فى الأرواح عند العرب قبل الإسلام» (١٩٦٣). كذلك ينبغى أن نشير إلى الدراسات الآتية: من تأليف يوزف كورت زولفرنك (١٩٢٤) إشارات إلى صيغ تشريعية عربية قديمة فى القرآن» ومن تأليف اليونوره هوبتر (١٩٣٩) «إشارات قرآنية إلى الثقافة المادية للعرب الأقدمين» (١٩٦٥). وفى عام ١٩٤٥ أصدرت روزه كلينكه - روزنبرجر ترجمة ذات تعليق لكتاب الأصنام لابن الكلبى. وعما قريب يظهر بقلم فرنر كاسكل تحليل نقدى ضخم لكتاب النسابة هشام ابن محمد الكلبى. وهناك نشريات، بعضها ضخم، بقلم كارل راتينس (١٨٨٧) وماريه هوفنر (١٩٠٠) وهرمن فون فيسمن (١٨٩٥) تختص بالجغرافية التاريخية وبجنوب الجزيرة العربية خاصة، ولا حاجة بنا هنا إلى الدخول فى تفصيلاتها. ولا بأس من أن ننوّه هنا إلى أن هرمن فون فيسمن أنتج أعمالاً أخرى منها خريطة البلاد العربية قبل الإسلام، ونعنى الخريطة المهمة المفيدة التى ظهرت فى كتاب «بلاد العرب» لجرومن، الصادر عام ١٩٦٣.

وهناك مقالات عديدة نشرت فى المجلات حول محمد والقرآن، بعضها من تأليف يوهان فوك (١٨٩٤) وبعضها من تأليفى. وقد حاولت تلخيص الوضع الحالى للبحث فى هذا الموضوع فى كتابى الصغير «محمد والقرآن .. تاريخ النبى العربى وبعثته» (١٩٥٧) الذى توجهت به إلى طبقات أوسع من القراء (ظهرت منه طبعة ثانية عام ١٩٦٦). ونشرت عام ١٩٥٠ اعتمادًا على عيّنة ترجمة للسورة الثلاثين من القرآن مقالاً عن «حدود بحوث القرآن». وقد ظهرت بين عامى ١٩٦٣ و١٩٦٦ ترجمة المانية كاملة للقرآن بقلمى هى ثمرة اشتغال عميق بالنص القرآنى استمر

سنوات طويلة، وتقصد هذه الترجمة إلى المساعدة على فهم القرآن فهمًا تاريخيًا، فهى تصوغ الأجزاء المختلفة على النحو الذى أعتقد أنها عنيت به عندما نطق بها النبى العربى، وكثيرًا ما تضيف إضافات معيّنة لتوضح العبارة الأصلية التى كثيرًا ما تتصف بالإيجاز والاقتضاب، وتضع هذه الإضافات بين أقواس حتى يفرق بينها وبين النص الأصلى. وتتجه نيتى إلى نشر تفسير القرآن (بمعجم مفهرس) فى الأعوام القادمة. ويقوم هلموت جيتيه (١٩٢٧) بإعداد الجزء الخاص بالقرآن وعلماء القرآن، «لمكتبة الشرق» التى يخرجها ج. ز. فون جرونيباوم.

التاريخ السياسى والثقافى

يحتل قطاع التاريخ من الدراسات الإسلامية، استنتاجًا من عدد النشريات التى اختصت به، مكان الصدارة فى الأهمية. وكان من بين هذه النشريات مؤلفات شاملة مثل كتاب فرنتس تيشنر (١٨٨٨) «تاريخ موجز للعالم العربى» الذى ظهر عام ١٩٤٤، وأعيد طبعه مرة أخرى عام ١٩٦٤ بعد إضافة فصل «العالم العربى فى عصر القوميات» بقلم فريتس شتيپات (١٩٢٣). وينبغى أن نشير إلى الدراسات التالية التى ظهرت فى تاريخ العالم طبعة پروپيلين الجديدة: بقلم رودى پارت «الإسلام والعرب قبيل نهاية العصر الوسيط» (١٩٤٠) وبقلم فرنتس تيشنز «إيران فى العصر الوسيط» (١٩٤٠)، وبقلم رودولف تشودى (١٨٨٤ - ١٩٦٠) «التاريخ العثمانى حتى نهاية القرن السابع عشر» (١٩٤١). وإلى الدراسة الدسمة الهامة «الإسلام» التى كتبها جوستاف إدموند فون جرونيباوم ١٩٠٩ ونشرها فى آخر طبعة من تاريخ العالم للناشر پروپيلين (١٩٦٣). وقد عالج رودولف تشودى موضوع «انتشار الإسلام حتى عام ٧٥٠»

(١٩٥٦) فى المجلد الخامس من تاريخ العالم Historia Mundi. وقد سبق أن أشرنا إلى «تاريخ البلدان الإسلامية» فى دليل الاستشراق، وفيه عالج برتولد شپولر (١٩١١) «عصر الخلفاء. نشأة وسقوط الإمبراطورية الإسلامية» (١٩٥٢) و«عصر المغول» (١٩٥٣) والجزء الثالث من هذا التاريخ يختص بالعصر الحديث (١٩٥٩) ويضم الفصول الآتية: بقلم هانس يواخيم كيسلنج (١٩١٢) «الدولة العثمانية حتى ١٧٧٤»، وبقلم هلموت شيل (١٨٩٥) «التاريخ العثمانى من ١٧٧٤ إلى ١٩١٨»، وبقلم جوتهارد بيشكه (١٨٩٤) «تاريخ تركيا منذ هدنة مودروس»، وبقلم هلموت براون «تاريخ إيران منذ ١٥٠١»، وبقلم إرنست كلينجمولر (١٩١٤) «العالم العربى فى العصر الحديث» و«تاريخ مصر منذ ١٧٧٩» وبقلم هربرت هرتل (١٩٢١) «تاريخ الجزء الأدنى من الهند منذ ١٥٢٥». وقد عالج جوستاف ريشتر (١٩٠٦ ـ ١٩٣٩) فى موجز قصير موضوع «الصورة التاريخية عند المؤرخين العرب فى العصر الوسيط» (١٩٣٣)، وترجمت أنيمارى شيمل (١٩٢٢) أجزاء مختارة من مقدمة ابن خلدون (١٩٥١). ونشير فى هذا المقام إلى الطبعة الجديدة من الوسيلة التاريخية الهامة «جداول فوستنفلد مالر المقارنة للتقويم الإسلامى والإيرانى مع جداول لتحويل التواريخ الشرقية والميلادية» التى ظهرت عام ١٩٦١ بتنقيح برتولد شپولر وتجديده.

وتدور غالبية الدراسات التاريخية حول فترات تاريخية محددة تحديدًا ضيقًا، حول تواريخ أسر، أو حول مجموعة من مجموعات البلدان التى تحللت إليها الدولة الإسلامية الكبيرة فى العصر العباسى. وتُضاف إلى هذه الموضوعات موضوعات مناقشة أسس الثقافة الإسلامية وعلاقتها بالهللينية. وهناك مجالان تاريخيان خاصان شملتهما الدراسة المنظمة وتوسعت فيهما هما: مجال كشف أوراق

البردى ودراستها، ومجال جمع الوثائق ونشرها وخاصة ما كانت منها متصلة بتاريخ الإدارة. ويرجع إلى أدولف جرومن (١٨٨٧) فضل الاشتغال بأوراق البردى والعناية بدراستها، ويرجع إلى هانس روبرت رويمر (١٩١٥) فضل العناية ببحوث الوثائق.

ونشير فيما يلى إلى النشريات الخاصة بالقطاعات المختلفة، ويحول مقتضى الحال بيننا وبين السعى إلى شمول النشريات كلها:

العصور الأولى . العصر الأموى . العصر العباسى

من أعمال فيلهلم هونرباخ (١٩١١) «فصل من كتاب الردة لأبى زيد ابن الفرات الفارسى استخلصه من كتاب الإصابة لابن حجر. دراسة فى تاريخ تدهور القبائل العربية بعد موت محمد» (١٩٥١)، وبقلم يوزف لاتس «كتاب الوزراء والكتاب لابن عبدوس الجهشيارى. العصور الأولى وعصر بنى أمية». (ترجمة ١٩٥٨)، وبقلم ألبرت ديترش (١٩١٢) «الوصية السياسية للخليفة العباسى الثانى المنصور». (١٩٥٤)، وبقلم ڤالتر هلليجه «وصاية الموفق» (١٩٣٦) وبقلم مانفرد فلايشهمر (١٩٢٨) «أسرة يزيدى . أثرها الأدبى ومكانتها فى البلاط العباسى» (١٩٦٢)، و«بنو المنجم . أسرة بغدادية من العلماء من القرن الثانى إلى الرابع الهجرى» (١٩٦٣)، ومن تأليف ڤيلهلم هونرباخ «فى إدارة الجيش أيام العباسيين» (١٩٥٠).

تاريخ مصر

بينما تعالج الكتب التى أشرنا إليها موضوعات من العصور الأولى ومن عصر الأمويين والعباسيين، تعالج المؤلفات الآتية تاريخ مصر

خاصة. هناك من تأليف أدولف جرومن (١٨٨٧) «دراسات فى الجغرافيا التاريخية وفى الإدارة فى مصر بالعصر الوسيط المبكر» (١٩٥٩)، وبقلم ديتر موللر - فودارج، «الزراعة فى مصر فى العصر العباسى المبكر» (١٩٥٤ - ١٩٥٧ - ١٩٥٨)، وبقلم هانس ل. جوتشالك (١٩٠٤) «المضرائيون. دراسة فى تاريخ مصر الإسلامية» (١٩٣١) و«الملك الكامل وعصره» (١٩٥٨) وبقلم هانس ر. رويمر (١٩١٥) «تاريخ بن الدوادارى، الجزء التاسع. أخبار السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون» (١٩٦٠)، وبقلم جوتس شريجله (١٩٢٣) «سلطانة مصر» (١٩٦١) وبقلم أنيمارى شيمل (١٩٢٢) «الخليفة والقاضى فى مصر بالعصر الوسيط» (١٩٤٢) وبقلم صبحى لبيب (١٩٢٤) «تاريخ التجارة بمصر فى العصر الوسيط المتأخر» (١٩٦٥).

وينبغى أن نشير فى هذا المقام إلى الجهود التى بذلت للكشف عن الوثائق البردية العربية الكثيرة ودراستها والإفادة منها، هذه الوثائق البردية كلها من مصر، وتشكل قبل كل شىء آخر مادة لتاريخ العصر الوسيط المبكر الإسلامى فى مصر . نشط فى هذا الميدان بصفة خاصة أدولف جرومن (١٨٨٧) وعالج مجموعات كاملة من البرديات فى نشريات نذكر منها «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية» (١٩٣٤ - ١٩٥٥)، وكتب دراسات متعددة فى مشكلات البحث فى أوراق البردى العربية، وله كذلك كتاب تحت الطبع «تمهيد إلى دراسة الأوراق البردية العربية، ومنتخب منها». وقد ظهر الجزء الأول (التمهيد) منذ عام ١٩٥٤). كذلك نشر ألبرت ديترش (١٩١٢) أوراق بردى عربية ورسائل عربية من مكتب الدولة والجامعة الهامبورجية (١٩٣٧ - ١٩٥٥).

تاريخ فارس

هناك مؤلفات كثيرة كثرة خاصة عن تاريخ فارس. من أعمال برتولد شپولر (١٩١١) «عملية تحول فارس إلى الإسلام» (١٩٥٠) و«إيران فى العصر الإسلامى المبكر . السياسة والثقافة والإدارة والحياة العامة بين الغزو العربى والغزو السلجوقى، من ٦٣٣ إلى ١٠٥٥» (١٩٥٢) وبقلم هريبرت بوسه (١٩٢٦) «البويهيون فى العراق . السياسة والدين والثقافة والاقتصاد، ٩٤٥ ـ ١٠٥٥» (١٩٦٥)، وبقلم ى. كريستوف بورجل (١٩٣١) «الرسائل الديوانية لعضد الدولة» (١٩٦٥)، وبقلم هريبرت هورست (١٩٢٥) «حكومة السلاجقة الكبار والخوارزمشاه. دراسة تعتمد على وثائق من العصر» (١٩٦٤)، وبقلم هريبرت ف. دودا (١٩٠٠) «تاريخ السلاجقة لابن بيبى» (١٩٥٩)، وبقلم برتولد شپولر «الجحافل الذهبية. المغول فى روسيا ١٢٢٣ ـ ١٥٠٢» (١٩٤٣، طبعة ثانية ١٩٦٥) وبقلم هانس ر. رويمر (١٩١٥) «مقترحات لجمع وثائق تاريخ فارس الإسلامى» (١٩٥٤) و«فى وثائق تاريخ مصر وفارس فى العصر الإسلامى» (١٩٥٧)، وبقلم هريبرت بوسه «نظرة إجمالية فى علم الوثائق الفارسية. نتائج ومشكلات». (١٩٦١)، وبقلم هريبرت هورست «تيمور وخوجه على. دراسة فى تاريخ الصفويين» (١٩٥٨)، وبقلم هانس ر. رويمر «تاج السلمانى، شمس الحسن. تاريخ التموريين من وفاة تيمور إلى عام ١٤٠٩. النص الفارسى، مترجم إلى الألمانية» (١٩٥٦) و«الرسائل الديوانية فى عصر التيموريين. الشرفنامه لعبد الله مرورايد فى دراسة تقييمية نقدية» (١٩٥٢)، وبقلم ڤالتر هينتس (١٩٠٦) «صعود إيران إلى دولة قومية فى القرن الخامس عشر» (١٩٣٦)، وبقلم هنّا زورفايده «انتصار الصفويين وتأثيره العكسى على شيعة الأناضول فى القرن

السادس عشر» (١٩٦٥)، وبقلم هانس ر. رويمر «تدهور إيران بعد موت إسماعيل الفظيع ١٥٧٧ ـ ١٥٨١» (١٩٣٩)، وبقلم هانس موللر (١٩٢٧) «خلاصة التواريخ للقاضى أحمد قومى. الجزء الخاص بالشاه عباس الثانى، نشر وترجمة» (١٩٦٤، وبقلم هريبرت بوسه «دراسات فى نظام الديوان الإسلامى تعتمد على وثائق تركمانية وصفوية». (١٩٥٩)، وبقلم كلاوس ميشائل روربورن «أقاليم فارس والحكم المركزى بها فى القرن السادس عشر والسابع عشر». (١٩٦٥)، وبقلم ڤالتر هينتس «نظام الحسابات فى بيوت المال الشرقية بالعصر الوسيط» (١٩٥٠).

التاريخ العثمانى

من ميادين البحث الهامة ميدان التاريخ العثمانى. وقد سبق أن أشرنا إلى فرانتس بابنجر (١٨٩١) فى موضع آخر باعتباره ممثلاً لهذا التخصص من الدراسات الاستشراقية. وهناك أيضًا پاول ڤيتك (١٨٩٤) الذى دفع البحث فى التاريخ القديم والتاريخ المبكر للدولة العثمانية إلى الأمام بكتابيه «إمارة منتشه. دراسات فى تاريخ غرب آسيا الصغرى فى الفترة من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر». (١٩٣٤) و«ازدهار الإمبراطورية العثمانية» (١٩٣٨). أمّا إخراج الطبعات ومعالجة المصادر فنذكر من بينها: من أعمال فريدرش جيزه (١٨٧٠ ـ ١٩٤٤) «كتب تاريخ عثمانية مجهولة المؤلف» (١٩٢٥) و«التاريخ العثمانى القديم لاشيكباشازاده» (١٩٢٩)، وبقلم فرنتس تشنر (١٨٨٨) «جيهانومه. التاريخ العثمانى القديم لمولانا محمد نشرى» (١٩٥١ ـ ١٩٥٥)، وبقلم هاينتس هلموت جيزكه (١٩٠٢) «كتاب عزيز بن أردشير استرابادى. مصدر لتاريخ العصر الوسيط المتأخر فى آسيا الصغرى». (١٩٤٠)، وهناك

دراسات أخرى نشير من بينها إلى دراسة فرنتس تشنر «شبكة الطرق الأناضولية حسب المصادر العثمانية» (١٩٢٤ ـ ١٩٢٦) ومن أعمال برياره فلمنج (١٩٣٠) «تاريخ مناطق بامفيليا وبيسيديا وليكيا فى العصر الوسيط المتأخر» (١٩٦٤)، ويقلم ڤالتر هينتس «نظام الضرائب فى شرق الأناضول فى القرن الخامس عشر والسادس عشر» (١٩٥١)، وبقلم هانس يواخيم كيسلنج (١٩١٢) «دراسات لمعرفة تراقيا فى القرن السابع عشر» (١٩٥٦)، وبقلم ريشارد فريدرش كرويتل (١٩١٦) «كارا مصطفى أمام ڤيينا. يوميات تركية لحصار ڤيينا عام ١٦٨٣ سجلها تشريفانجى الباب العالى» (١٩٥٥) و«فى بلاد التفاحة الذهبية» (١٩٥٧)، وبقلم ريشارد فريدرش كرويتل بالاشتراك مع أوتو شپيس (١٩٠١) «أسير الكفار. مغامرات الترجمان عثمان أغا التمسوارى، يرويها بنفسه». (١٩٦٢). هذا وقد عالج فرنتس تشنر فى دليل الاستشراق «الأدب العثمانى» (١٩٦٣).

التاريخ الثقافى

أسهم جوستاف أ. فون جرونيباوم (١٩٠٩) فى دراسات التاريخ الثقافى إسهامًا كبير الأهمية يتمثل فى كتابه «الإسلام فى العصر الوسيط» الذى ظهر عام ١٩٦٣ كالمجلد الأول من «مكتبة الشرق» التى يخرجها المؤلف نفسه. أمّا الموضوعات التفصيلية فتتوسطها حتى اليوم دراسة علاقة الإسلام بالهللينية. هناك من أعمال هانس هاينرش شيدر (١٨٩٦ ـ ١٩٥٧) «الشرق والتراث الإغريقى»، ومن أعمال رودى پارت «الإسلام والثقافة الإغريقية» (١٩٥٠)، وبقلم هانس ل. جوتشالك (١٩٠٤) «الإسلام والمسيحية والهللينية» (١٩٥١) وكذلك «تقبل الإسلام

للعلوم القديمة». (١٩٦٥)، وبقلم برتولد شپولر (١٩١١) «التفكير الهلليني فى الإسلام» (١٩٥٤)، وبقلم يورج كريمر (١٩١٧ ـ ١٩٦١) «مشكلة تاريخ الثقافة الإسلامى» (١٩٥٩)، وبقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «أفكار فى مشكلة التاريخ الثقافى الإسلامى» («العالم كتاريخ» ١٠٦٠)، وبقلم فرنتس روزنتال (١٩١٤)، «بقاء الثقافة الإغريقية فى الإسلام» (المجلد الثانى من «مكتبة الشرق»، ١٩٦٥).

ولا يفوتنا فى هذا المقام أن نشير إلى دراسات ثلاث اختصت بموضوع العلاقات الأدبية بين الثقافة الإغريقية والثقافة العربية، دراسة يورج كريمر «الأصل العربى لكتاب التفاحة «Liber de Pomo»» المنسوب إلى أرسطو». (١٩٥٦)، و«أبيات هوميرية فى العربية» (١٩٥٦)، ودراسة مانفريد أولمن (١٩٣١) «الرواية العربية لما يسمى بحكم ميناندر» (١٩٦١). وينوى پيتر باخمن (١٩٣٦) التخصص فى العلاقات الثقافية الإغريقية العربية ببحوث علمية ينشئها فى هذا الميدان. أمّا يورج كريمر الذى كان يداعبه هذا الأمل نفسه فقد اختطفه الموت مبكرًا.

وهناك بقلم أوتو شپيس (١٩٠١) مؤلفات صغيرة الحجم تدور حول العلاقات الثقافية بين الشرق والغرب: «آثار ثقافية شرقية فى الغرب» (١٩٤٩)، و«الشرق فى الأدب الألمانى» (١٩٤٩ ـ ١٩٥٠)، و«موضوعات شرقية فى حكايات الأخوين جريم» (١٩٥٢). وقد قامت كاتارينا مومزن (١٩٢٥) فى إطار البحث فى أعمال جوته بتتبع المؤثرات الشرقية التى اثرت عليه وأنشأت: «جوته وألف ليلة وليلة» (١٩٦٠) و«جوته والمعلقات» (١٩٦٠) و«جوته وديتس» (١٩٦١).

ويعمل هاينتس هوجو جروتسفلد (١٩٣٣) حاليًا فى دراسة تاريخية ثقافية للحمام، وهانس موللر (١٩٢٧) فى دراسة للرق فى صدر الإسلام.

ونختم عرضنا هذا بالتنويه بثلاث نشريات تدور حول الجغرافيا التاريخية: «المانيا والبلاد المجاورة لها حسب جغرافية الإدريسى الكبيرة» (١٩٣٨) و«مسار العبدرى فى شمال أفريقيا فى عام ١٢٨٩/٦٨٨» (١٩٤٠) بقلم فيلهلم هونرياخ (١٩١١) و«خريطة كولومبوس المفقودة التى ترجع إلى عام ١٤٩٨ حسب خريطة تركية للعالم ترجع إلى عام ١٥١٣» (١٩٣٣) بقلم پاول كاله (١٨٧٥ ـ ١٩٦٤).

أصول الدين الإسلامى وتاريخ العقائد والفرق والتنسك والتصوُّف والطوائف . العادات والثقافة المادية

سبق أن أشرنا إلى كتاب هرمن شتيجِلْكَر عن «المذاهب الفقهية فى الإسلام» (١٩٦٢) وإلى الدراسات التى أسهم بها هلموت ريتر فى تاريخ الدين الإسلامى والتصوُّف الإسلامى. وينبغى أن نضيف هنا إلى ما سبق أن ذكرناه من أعمال ريتر: «دراسات فى تاريخ التنسك فى الإسلام. بداية فرقة الحروفية» (١٩٥٤)، «احتفالات مولانا فى قونيه من ١١ إلى ١٧ ديسمبر ١٩٦٠» (١٩٦٢)، وطبعة كتاب فريد الدين عطار «الهى نامه» (١٩٥٣). وهناك دراسات مستقلة جدية عن إحياء علوم الدين للغزالى، منها «دراسات فى كتاب التوبة للغزالى» بقلم زوزانه فيلتسر (١٩٥٧ ـ ١٩٥٨ ـ ١٩٥٩) و«فى العادات الطيبة فى المأكل والمشرب. (آداب الأكل) الكتاب الحادى عشر من الإحياء للغزالى» (١٩٦٤). وهناك بقلم يوزف فان إس (١٩٣٤) عرض عميق بعنوان «أفكار الحارث المحاسبى بناء على ترجمات لكتاباته» (١٩٦١)، ومقال اسمه «الملحدون والشكاك فى الإسلام» (١٩٦٤)، هذا ويُعد يوزف فان إس طبعة لمؤلفات المحاسبى الصغيرة وتفسيرًا للكتاب الأول من «المواقف فى علم الكلام» للإيجى

تحت عنوان «مواد فى نظرية المعرفة بالفقه الإسلامى»، تحت الطبع. وقد أخرجت زوزانه ديفلد ـ فيلتسر كتاب المرتضى «طبقات المعتزلة» (١٩٦١)، وقام إرنست ماينتس بأبحاث فى «الأخلاق عند المعتزلة» (١٩٣٥). وهناك أبحاث أخرى نذكرها فى هذا المقام: «الماتريدى وكتابه تأويلات القرآن» (١٩٦٥) بقلم مانفريد جوتس، و«الفاطميون وقرامطة البحرين» (١٩٥٩) بقلم فيلفرد ماديلونج وبقلم ماديلونج أيضًا: «الإمامة فى فجر المذهب الإسماعيلى» (١٩٦١) و«الإمام القاسم بن إبراهيم ومذهب الزيديين» (١٩٦٥).

وهناك أعمال كثيرة تدور حول التصوُّف والفرق. من أعمال فالتر براونه (١٩٠٠) «فتوح الغيب لعبد القادر» (١٩٣٢)، ومن أعمال فريتس ماير/ بازل (١٩١٢) «فى التصوُّف الإسلامى» (١٩٤٣)، و«حياة الشيخ أبى إسحق الكازرونى» (١٩٤٨) و«فواتح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى» (١٩٥٧) و«ترتيب السلوك للقشيرى» (١٩٦٣). وبقلم ى. ك. تويفل (١٩١٦) «سيرة الشيخ على حمدانى» (١٩٦٢)، ومن أعمال هانس يؤاخيم كيسلنج (١٩١٢) «مناقب نامه للشيخ بدر الدين» (١٩٥١) و«من تاريخ طائفة الخلوتية» (١٩٥٣) و«فى تاريخ طائفة دراويش البيرمية» (١٩٥٦) و«كرامات الدراويش» (١٩٥٧) و«طرف من أخبار طائفة الزنية فى الدولة العثمانية» (١٩٦٤). وبقلم مارى لويزه بريمر «مذكرات الدرويش التركى أشى داره إبراهيم» (١٩٥٩)، وبقلم إيرينه بلديكانو شتاينهر «الشيخ أفتاده، مؤسس طائفة الخلوتية» (١٩٦١)، وبقلم ريشارد جرامليش «فرق الدراويش الشيعة فى فارس. الجزء الأول: الانتساب» (١٩٦٥)، وبقلم أنيمارى شيمل (١٩٢٢) «اللغة التصويرية لجلال الدين الرومى» (١٩٤٩) و«حياة ابن الخفيف» (١٩٥٦)، وقد

اتجهت أنيماري شيمل حديثًا إلى الاشتغال على نحو عميق بالتصوُّف الإسلامى فى المنطقة الهندية. وقد سبق أن أشرنا من قبل إلى أعمال يوزف فان إس فى المحاسبى.

هناك دراستان حديثتان عن العادات فى صدر الإسلام، تستمدان مادتهما من ابن سعد والبخارى: «عادات الدفن العربية فى صدر الإسلام» (١٩٥٤ ـ ١٩٥٧) بقلم إيرينه جروتر و«أشكال التعامل بين الناس فى مجتمع المدينة بعصر صدر الإسلام» (١٩٦٣)، وقد أشرنا من قبل إلى ترجمة هانس كندرمن للكتاب الحادى عشر من إحياء علوم الدين للغزالى «آداب الأكل» «العادات الطيبة فى المأكل والمشرب»، ودراسته التى يتبع فيها هذه العادات إلى ما وراء حدود الإسلام على الأرض الأوروبية. ولدينا من أعمال هانس ألكسندر فينكر (١٩٠٠ ـ ١٩٤٥) عدد من الدراسات الفلكلورية العميقة منها: «أختام وأشكال فى السحر عند المسلمين» (١٩٣٠)، «سليمان والقرينة» (١٩٣١) و«زرّاع بين الماء والصحراء» (١٩٣٤) و«أرواح الموتى الراكبة» (١٩٣٦) و«فلكلور مصرى» (١٩٣٦). أمّا أعمال إنو ليتمن (١٩٧٥ ـ ١٩٥٨) فى هذا الميدان فنذكر منها: «عبارات استحضار الأرواح فى مصر» (١٩٥٠) و«أناشيد عربية إسلامية للأولياء» (١٩٥١). وهناك بقلم تسيزرا دوبلر (١٩١٥) «فى تقديس القبور والأولياء عند المسلمين» (١٩٦٠) وبقلم رودولف كريس (١٩٠٣) وهوبرت كريس ـ هاينرش: «الإيمان الشعبى فى محيط الإسلام» (المجلد الأول: الحج وتقديس الأولياء، ١٩٦٠ والمجلد الثانى: الأحجبة والأعمال والتعاويذ، ١٩٦٢). وهناك بقلم إرنست راكو (١٨٨٨ ـ ١٩٥٩) «دراسات فى معرفة الثقافة المادية فى شمال غرب المغرب» (١٩٥٨).

فقد الاستشراق فى ميدان تخصص تاريخ الشريعة الإسلامية الكثير لهجرة يوزف شاخت (١٩٠٢)، وكان قد أصدر فى عام ١٩٣٥ بمجلة «الإسلام» دراسة باللغة الألمانية بعنوان: «نظرة اجتماعية للشريعة الإسلامية». أمّا كتابه الذى أثار الانتباه «أصول الشريعة الإسلامية» (١٩٥٠) والذى صدر باللغة الإنجليزية فإنه لا يدخل بالطبع ضمن المدوّنات الألمانية. على أن الحقبة الأخيرة شهدت مجموعة كبيرة من الدراسات الألمانية فى مسائل الشريعة الإسلامية. فقد نشر فيلهلم هونرياخ (١٩١١) منذ وقت قليل «وثائق إسبانية إسلامية من عصر بنى نصر والموريسكوس» (١٩٦٥) مع دراسة لها فى مؤلف كبير. كذلك أخرج هانس إرنست (١٩٢٦) طبعة وترجمة وشرحًا «الوثائق السلطانية المملوكية فى دير سيناء» (١٩٦٠)، وأنشأ ألبرت ديتريش (١٩١٢) تقريرًا عن الوضع الراهن لأبحاث الشريعة القائمة على الوثائق العربية» (١٩٥٧). وهناك من أعمال إريش بريتش (١٨٧٧ - ١٩٦١) وأوتو شپيس (١٩٠١) دراسات تدور حول موضوعات تفصيلية من الشريعة الإسلامية، قاما بها أحيانًا مشتركين، منها مثلاً: «عقود التوريد فى الإسلام» (١٩٥٦) و«اللقيط فى القانون الإسلامى» (١٩٥٧)، ومن أعمالهما أيضًا «الشريعة الإسلامية التقليدية» الذى سبق أن أشرنا إليه والذى ظهر فى دليل الاستشراق (١٩٦٤، بثبت مفصل للمراجع والمصادر). ومن أعمال إرڤين جريف (١٩١٤): «نظام القضاء والتقاضى فى الشريعة الإسلامية» (١٩٥٥)، و«مشكلة عقوبة الإعدام فى الإسلام» (١٩٥٧)، و«الصيد والذبيحة فى الشريعة الإسلامية» (١٩٥٩)، و«المفاهيم الدينية والشرعية عن الأسرى فى الإسلام والمسيحية» (١٩٦٣)، و«نظام

التقاضى لدى البدو المعاصرين» (١٩٥٢). وبقلم يوزف هيننجر (١٩٠٦) «حق الملكية عند البدو فى الجزيرة العربية حاليًا» (١٩٥٩) وبقلم فريدريش زيلله «قانون الإجراءات فى الدولة العثمانية فى القرن السادس عشر» (١٩٦٢). كذلك هناك أبحاث متفرقة تأخذ فى اعتبارها نظم التقاضى الحديثة فى البلدان الإسلامية، منها بقلم إريش بريتش «قانون الأحوال الشخصية التونسى» (١٩٥٨) وبقلم جوتشد يشكه (١٨٩٤) «نظام عقد الزواج حسب الشريعة التركية» (١٩٤٠ ـ ١٩٥٣).

الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضيات

كما تدهور النصيب الألمانى فى بحوث الشريعة الإسلامية بهجرة يوزف شاخت، كذلك أحدثت هجرة ريشارد فالتسر (١٩٠٠) ثغرة محسوسة فى صفوف المستشرقين الألمان الذين يشتغلون بمشكلات الفلسفة الإسلامية. ولكن فالتسر يأتى لحُسن الحظ بانتظام من وطنه الإنجليزى الجديد إلى هامبورج ليلقى محاضرات بوصفه أستاذًا زائرًا فى موضوع تخصصه. أمّا الدراسات الألمانية الحديثة المختصة بموضوعات من تاريخ الفلسفة فنذكر منها: بقلم ألبرت ديترش (١٩١٢) «الصيغة العربية لكتاب مجهول من تأليف إسكندر الافروديسى فى الفصل النوعى» (١٩٦٤)، ورسالتين من رسائل الدكتوراه واحدة بقلم پاول فرنست (١٩٢١) «مبحث الكون ومبحث الله من كتاب النكت والفوائد لابن سينا، ينشر لأول مرة مع ترجمة وشرح طبقًا للمخطوط الوحيد فيض الله ١٢١٧»، والأخرى بقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «تلخيص كتاب الحس والمحسوس لابن رشد» ١٩٦١. ولدينا من أعمال جيتيه أيضًا مقالات قصيرة منها: «مذاهب فلسفية فى تأويل الأحلام فى الإسلام»

(١٩٥٩)، و«ابن رشد شارحًا لأرسطو» (١٩٦٤) و«كتاب الحس والمحسوس للفارابى عند البرتوس ماجنوس» (١٩٦٤).

وقد تعددت الدراسات الحديثة فى تاريخ الطب. هناك من أعمال هلموت ريتر وريشارد ڤالتسر: «الترجمات العربية لأطباء إغريق فى مكتبات استنبول» (١٩٣٤)، وبقلم هاينرش شيپرجس «قدماء مترجمى الطب العربى فى ثبت مرتب زمنيًا» (١٩٥٥)، «إيديولوجيا العربية وكتابة التاريخ» (١٩٦١) و«إساغة العصر الوسيط اللاتينى للطب العربى» (١٩٦٤)، وبقلم هلموت جيتيه «نظرة فى الطب الإسلامى بالعصر الوسيط» (١٩٦٢)، وبقلم أوتو شپيس (١٩٠١) «مقالات فى تاريخ طب الأسنان عند العرب» (١٩٦٢)، و«ثلاثة فصول فى طب المسالك البولية عند العرب» (١٩٦٤)، وبقلم پيتر بخمن (١٩٣٦) «مقال جلينوس فى أن الطبيب الممتاز لا بد أن يكون فيلسوفًا، بالعربية والألمانية» (١٩٦٥) (وينوى بخمن إخراج طبعة وترجمة لشرح ابن النفيس على الأوبئة لأبقراط). ولا يفوتنا أن ننوّه فى هذا المقام بمقال ألبرت ديتريش (١٩١٢) العليم فى «تجارة العقاقير فى مصر الإسلامية» (١٩٥٤). ولألبرت ديتريش كتاب فى «الطب العربى» تحت الطبع.

وقد سبق لنا أن أشرنا إلى دراسات ألفريد زيجل (١٨٨٤ ـ ١٩٥٩) فى تاريخ العلوم الطبيعية، وهناك دراسات أخرى فى الميدان نفسه نشير منها إلى دراسة بقلم يوليوس روسكا (١٨٦٧ ـ ١٩٤٩) وكارل جاريرس (١٨٩٨) «تنبيهات لصناعة السكاكين الحادة» (١٩٣٩)، وبقلم جاريرس «كتاب كيمياء العطر والتصعيدات، ليعقوب بن إسحق الكندى» (١٩٤٨)، وبقلم ماتياس شرام «طريق ابن الهيثم إلى علم الطبيعة» (١٩٦٣)، وبقلم پاول كاله (١٨٧٥ ـ ١٩٦٤) «الكوارتز الشفاف والزجاج

والبللور حسب كتاب الأحجار للبيرونى» (١٩٣٦)، ومن أعمال هلموت ريتر ومارتن بلسنر (١٩٠٠) «بيكاتريكس. غاية الحكيم المنسوب إلى المجريطى» (١٩٦٢)، وبقلم ماكس كراوزه (١٩٠٩ ـ ١٩٤٤) «البيرونى، باحث إيرانى فى العصر الوسيط» (١٤٩٢)، وكان ماكس كراوزه، الذى سقط فى الحرب العالمية الثانية وهو فى الخامسة والثلاثين، قد اتجه لدراسة الرياضيات العربية خاصة، وعالجها فى رسالة الدكتوراه التى قدمها بعنوان «نظرية الأجسام الكروية لمينيلاوس السكندرى فى تصويب أبى نصر منصور بن على بن عراق» (١٩٣٦). وقد أخذ مانفرد أولمن (١٩٣١) على عاتقه إعداد الجزء الخاص بـ «الطب والعلوم الطبيعية والعلوم الخفية فى الإسلام» لدليل الاستشراق، وأخذ ماتياس شرام على عاتقه إعداد الجزء الخاص بـ «الرياضيات والفلك والطبيعيات» فى الكتاب نفسه.

علم الآثار وتاريخ الفن

برز فى ميدان علم الآثار الإسلامية وتاريخ الفنون الإسلامية، بعد هجرة ريشارد اتنجهاوزن (١٩٠٦)، كورت إردمن (١٩٠١ ـ ١٩٦٤) إلى جانب أرنست كونل (١٨٨٢ ـ ١٩٦٤) الذى ظل حتى مماته يبحث ويدرس بلا كلل أو ملل. من أعمال كورت أردمن نذكر: «السجادة الشرقية اليدوية. محاولة لرسم تاريخ لها». (١٩٥٥)، «السجادة التركية فى القرن الخامس عشر» (١٩٥٧)، «أوروبا والسجادة الشرقية» (١٩٦٢)، «حروف عربية كزخارف فى الفن العربى بالعصر الوسيط» (١٩٥٣)، «الكرفان سراى فى الأناضول فى القرن الثالث عشر» (١، ١٩٦٣). وهناك من مؤلفات كاتارينا أوتودورن (١٩٠٨) خاصة «الفنون الإسلامية» (١٩٤١)،

«سيراميك تركى» (١٩٥٨)، «حفائر فى رصافة الأموية» (١٩٥٧)، «الفن الإسلامى» (١٩٦٤). أمّا أعمال كلاوس بريش (١٩٢٣) الذى خلف إردمن فى إدارة المتحف الإسلامى ببرلين فتدور حول مشكلات الفن الإسلامى الإسبانى من الناحية الأثرية، وحول القصر الأموى فى أسيس الذى يقوم بالتنقيب عنه. وقد حصلت دوروتيا دودا (١٩٣٧) على الدكتوراه عام ١٩٦٤ برسالة عن رسوم الكتب أيام الجلائريين وهى عاكفة حاليًا على إعداد فهرس لزخارف الأسقف والجدران المتخذة من الخشب والحجر، ولأعمال المرمر والحجر الأخرى فى مجموعة فرعون ببيروت. وينبغى أن نشير فى هذا المقام إلى مؤلف ماكس ڤايسڤايلر (١٩٠٢) «فن التجليد الإسلامى فى العصر الوسيط» (١٩٦٢) ومؤلفه الآخر الذى ظهر (كنشرية فى إطار عملية تبويب المخطوطات الشرقية فى ألمانيا) «البومات سراى. مجلدات لصقية لديتس من المجموعات البرلينية» (١٩٦٤) من إعداد م. س. ابشيروغلى. وهناك مجلد آخر عن الرسوم الإسلامية الصغيرة يُعدّه ى. ستخوكينه و ب. فلمنج و ب. لوفت. أمّا أنّا فقد كتبت مقالاً فى «نصوص فى تحريم التصوير فى الإسلام» (١٩٦٠) واكتب حاليًا مقالاً عن تحريم الصور عند الشيعة.

الوضع الراهن فى العالم الإسلامى

العالم الإسلامى يتطور تطورًا عميقًا شاملاً، وتفرض الاتجاهات الحديثة فيه نفسها أكثر فأكثر. ويفتح هذا التحوُّل ميدانًا جديدًا أمام الدراسات الإسلامية، تتلخص مهمتها فيه فى التعرُّف على عملية التحوُّل وفى تحليلها تحليلاً موضوعيًا ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

وقد تعددت المؤلفات التى نشرت فى هذا الميدان حديثًا، ونقتطف منها جانبًا نذكره على سبيل المثال: بقلم ڤالتر براونه (١٩٠٠) «الشرق

الإسلامى بين الماضى والمستقبل» (١٩٦٠)، ومن نشر رودى پارت، «عالم الإسلام والعصر الحاضر»، سلسلة من المحاضرات المستقلة لنفر من المتخصصين (١٩٦١)، ومن أعمال يورج كريمر (١٩١٧ ـ ١٩١٦) «التجديد الإسلامى والتراث الإغريقى» (١٩٦٢)، وبقلم رودولف شتروتمن (١٨٧٧ ـ ١٩٦٠) «الدول الإسلامية والغرب المسيحى اليوم» (١٩٥٩)، وبقلم جوستاف أ. فون جرونيباوم (١٩٠٩) «المشكلة الفكرية فى التحوُّل إلى الغرب من وجهة نظر العالم العربى» (١٩٥٩)، ومن أعمال فريتش شتيپات (١٩٢٣) «العالم العربى فى عصر القومية» (فى الطبعة الجديدة من «تاريخ العلم العربى» لفرنتس تشنر، ١٩٦٤) و«القومية والإسلام عند مصطفى كامل. دراسة فى التاريخ الفكرى للحركة الوطنية المصرية» (١٩٥٦) و«إيران بين الدول العظمى ١٩٤١ ـ ١٩٤٨» (١٩٤٨) وبقلم رودى پارت «فى مشكلة المرأة فى العالم العربى الإسلامى» (١٩٣٤)، وبقلم يوخن جنتس «فتاوى تونسية عن الصيام فى رمضان» (١٩٦١).

وهناك مجموعة كبيرة من الدراسات تدور حول الأوضاع فى تركيا كتبها جوتهارد يشكه (١٨٩٤)، منها «فى أزمة الإسلام بتركيا» (١٩٤٤)، «الإسلام فى تركيا الجديدة» (١٩٥١)، «الوضع الراهن للإسلام فى تركيا» (١٩٥٩ ـ ١٩٦١)، «الخلافة الصورية عام ١٩٢٢» (١٩٥١)، «فى مشكلة المرأة فى تركيا» (١٩٥٩). وقد اهتم يشكه منذ فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى اهتمامًا شديدًا دقيقًا بالأحداث فى تركيا وأنشأ تقويمات تضمها، آخرها صدر عام ١٩٦٥ وعالج الفترة من عام ١٩٥٢ إلى ١٩٦١. أما أوتو شپيس (١٩٠١) فقد كتب فى المجلد ٢٥ من «عالم الإسلام» عن «النشر التركى المعاصر» (١٩٤٣)، وعالج فى دليل

الاستشراق «الأدب التركى الحديث» و«الأدب الشعبى التركى» (١٩٦٣)، وانشأ «منتخبًا من الأدب التركى الحديث» (١٩٥٧)، وألّف مقالاً يعالج موضوع «الفلاح التركى فى الأدب القصصى». (١٩٥٦). وأما أنيمارى شيمل (١٩٢٢) فقد قدمت لأفكار المجدد الهندى السير محمد إقبال وترجمت من أعماله «كتاب الخلود» و«رسالة الشرق» من اللغة الفارسية (١٩٥٧ - ١٩٦٣)، وألّفت مقالة عن رواية باللغة السندية تدور حول تنشئة المرأة (١٩٦٤). ولا يفوتنا أن ننوّه إلى طرف من أعمال برتولد شپولر (١٩١١) «وضع المسلمين فى روسيا منذ عام ١٩٤٢» (١٩٥٠) و«وضع المسلمين فى جنوب شرق أوروبا منذ عام ١٩٤٥» (١٩٥٢)، و«آسيا الوسطى تحت السيطرة السوفيتية» (١٩٦٥).

الدراسات العربية منذ عام ١٩٣٣

ظهرت فى ميدان الدراسات العربية مؤلفات ونشريات كثيرة فى العصر الحديث كما حدث فى ميدان الدراسات الإسلامية، وبدأت مشروعات بحث هامة تتخذ طريقها إلى التنفيذ وتبشر بنتائج قيمة.

تاريخ اللغة والنحو

أتحفنا المستشرق يوهان فوك (١٨٩٤ مؤلف «الدراسات العربية فى أوروبا» (١٩٥٥) ذلك الكتاب الذى أشرنا إليه من قبل، بكتاب أساسى فى تاريخ اللغة العربية هو «العربية . بحوث فى تاريخ اللغة العربية والأسلوب العربى» (١٩٥٠)، ولدينا من أعمال الفريد بلوخ/ بازل (١٩١٥) بحوث بعنوان «النظم واللغة فى اللغة العربية القديمة» فى الأوزان والتراكيب، تعتبر ملحقًا ثمينًا لأعمال ركندورف. وينوى أريل بلوخ الموجود حاليًا فى بركلى بكاليفورنيا (١٩٣٣) صاحب الدراسة «الاتباع فى اللغة العربية الفصحى» (١٩٦٥)، أن ينشئ قريبًا كتابًا فى تراكيب الجمل بالعربية الفصحى، كذلك ينوى فولفجنج رويشل (١٩٢٤) صاحب الدراسة المسماة «الخليل بن احمد، أستاذ سيبويه، نحويًا» (١٩٣٩) إنشاء دراسة

كبيرة عن «السمة والزمن فى العربية الفصحى»، كما ينوى يوهان كارل تويفل (١٩١٦) وضع «دراسة مقارنة للأسلوب فى العربية والألمانية». وهناك كتاب «أسرار البلاغة» للجرجانى، أصدره وترجمه هلموت ريتر (١٩٥٤ و١٩٥٩).

أمّا المقالات المتفرقة الخاصة بتراكيب الجمل فنذكر منها: من أعمال أنتون شپيتالر (١٩١٠) مقالاً بعنوان «تركيب ما راعه إلا بـ ... وما إليه» (١٩٥٢)، و«تركيب «الحمد لله» وما إليه. دراسة فى تركيب الجمل العربية فى الأزمنة الوسطى والحديثة (١٩٦٢)، ومن أعمال هانس ڤير (١٩٠٩) «القوالب الجامدة فى تركيب جمل عربية كتعبير وجدانى» (١٩٥١)، «أفعل التفضيل فى العربية» (١٩٥٢)، «فى وظيفة النفى فى اللغة العربية» (١٩٥٣)، ومن أعمال هانس ڤير أيضًا «خصائص اللغة العربية الفصحى الحديثة مع مراعاة تأثير اللغات الأوروبية» (١٩٣٤)، و«تطور اللغة العربية المكتوبة فى الحاضر ورعايتها التقليدية» (١٩٤٣). وهناك بقلم ريناته تيتس - ياكوبى (١٩٣٦) «جملة الشرط وتعبير الشرط فى القرآن» (١٩٦٣)، وبقلم أدولف دِنْتس (١٩٣٥) «الخاصية الصوتية لحروف الحنجرة فى اللغة العربية وتبويبها حسب علم الأصوات» (١٩٦٤).

أمّا كتب النحو الخاصة بالتدريس فقد ظهر منها فى الفترة التى نعالجها: من تأليف كارل بروكلمن «النحو العربى»، الطبعة الثانية عشرة مجددة (١٩٤٨)، وظهرت الطبعة الثالثة عشرة (١٩٥٣) والرابعة عشرة مجددة بقلم مانفرد فلايشهمر (١٩٦٠). ومن وضع إرنست هاردر «النحو العربى الصغير»، جدده رودى پارت (الطبعة الثالثة ١٩٣٨، الطبعة العاشرة ١٩٦٤).

كذلك صدرت أبحاث كثيرة جدًا فى اللهجات الحديثة، منها: بقلم ڤولفديترش فيشر (١٩٢٨) «أدوات الإشارة فى اللهجات العربية الحديثة» (١٩٥٩)، وبقلم هانس رودلف زنجر (١٩٢٥) «أدوات الاستفهام فى العربية الحديثة» (١٩٥٨)، وبقلم هاينتس هوجو جروتسفلد (١٩٣٣) «قواعد نطق وتصريف اللغة العربية الدمشقية» (١٩٦٤)، وبقلمه أيضًا بالاشتراك مع أريل بلوخ «نصوص عربية دمشقية» (١٩٦٤)، وله أيضًا «من فم شاهدين ... دراسة فى التعرُّف على نظام نطق اللهجات العربية فى سوريا ولبنان» (١٩٦٥)، و«قواعد اللهجة العربية السورية الدارجة فى دمشق» (١٩٦٥). وبقلم شتيفان ڤيلد (١٩٣٧) «وظيفة التعبير عن النتيجة لاسم الفاعل فى اللهجات السورية الفلسطينية من اللغة العربية» (١٩٦٤)، وبقلم يوزوا بلاو «تركيب الجمل فى لهجة الفلاحين الفلسطينيين ببيرزيت» (١٩٦٠)، وبقلم ميشل بيها «اللهجة العربية فى بشمزين» (١٩٦٤)، وبقلم جيورج كروتكوف «دراسات بغدادية» (١٩٦٤)، ومن أعمال هانس رودلف زنجر «نصوص عربية بلهجة مدينة تطوان» و«المميزات الأساسية لمورفولوجيا اللهجة العربية فى تطوان» (١٩٥٨)، و«قواعد اللهجة العربية لتونس» (تحت الإعداد) وبقلم إيڤالد ڤاجنر (١٩٢٧) «تركيب الجمل فى لهجة مهرى» (١٩٥٣) و«لهجة عبد الكورى» (١٩٥٩)، ومن أعمال شتيفان ڤيلد (١٩٣٧) «اللهجة العربية فى تعز» و«أسماء أماكن لبنانية» (تحت الإعداد).

المعاجم

نبدأ عرضنا للدراسات الخاصة بموضوع المعاجم بالإشارة إلى طائفة قليلة من المقالات الهامة: بقلم شتيفان ڤيلد (١٩٣٧) «كتاب العين

ودراسات المعاجم العربية» (١٩٦٥)، وبقلم ڤلولفديترش فيشر (١٩٢٨) «الصفات الدالة على الألوان والأشكال فى لغة الشعر العربى القديم» (١٩٦٥)، ومن أعمال پاول كونيتش «أسماء عربية للنجوم فى أوروبا» (١٩٥٩) و«بحوث فى قائمة الأسماء العربية للنجوم» (١٩٦١)، وبقلم هلموت جيتيه (١٩٢٧) «دراسات فى المعاجم العربية» (١٩٦٤).

أما يورج كريمر (١٩١٧ ـ ١٩٦١) فقد نشر مقالات فى المجلات اتخذ فيها رأيًا فى الناحية النظرية من موضوعات المعاجم العربية، منها «دراسات فى المعاجم العربية القديمة» (١٩٥٢)، «مجموعات أوجست فيشر الخاصة بإنشاء قاموس عربى» (١٩٥٥). على أن أبرز نشاط لكريمر فى هذا الميدان هو إنشاء معجم جديد للعربية الفصحى يفى بالمتطلبات العلمية. وقد بدأ كريمر فى أول الأمر، متبعًا توجيهًا من إنو ليتمن، بإخراج الملاحظات التى دوَّنها تيودور نولدكه بيده فى نسخته الخاصة من القاموس العربى اللاتينى لفرايتاج وحدها لتكون فى متناول عالم المتخصصين، وهكذا أخرج «معجم شواهد تيودور نولدكه للغة العربية الفصحى» (١٩٥٢ و١٩٥٤) على هذا النحو، وشمل الحرف الأول من الأبجدية: حرف الألف. ولكن استئناف المشروع توسع توسعًا كبيرًا من الناحية الشخصية ومن الناحية الموضوعية، وظهر هذا التوسع فى إعداد الجزء الأكبر من حرف الكاف، الذى يسمى «معجم اللغة العربية الفصحى، المعتمد على مجموعات أوجست فيشر وتيودور نولدكه وهرمن ركندورف ومصادر أخرى، تنشره الجمعية الألمانية الشرقية». فى هذا المعجم تذكر الاستشهادات العربية مكتوبة بالحروف اللاتينية، وتعطى المعانى باللغة الألمانية والإنجليزية. وقد ظهرت الملزمة الأولى عام ١٩٥٧ وأعدها يورج كريمر وهلموت جيتيه (١٩٢٧) بالاشتراك مع

أنطون شبيتالر (١٩١٠)، وظهرت الملزمة الثانية عام ١٩٦٠ واشترك فى إعدادها هلموت و أ. شبيتالر و ى. كريمر، وخرجت الملازم من الثالثة إلى السابعة بين عامى ١٩٦٢ و١٩٦٥ من إعداد مانفرد أولمن (١٩٣١) بالاشتراك مع أنطون شبيتالر. وقد أصبح القاموس الآن، رغم عدم اكتماله، عدة لا غنى عنها للمشتغل بالدراسات العربية ونأمل أن يتقدم العمل فى هذا القاموس العظيم الذى يعتبر مثلاً نموذجًا لنشاط العلماء الألمان، فيشمل الأحرف الأخرى الباقية بعد أن ينتهى من حرف الكاف عام ١٩٦٦.

من الأعمال الأخرى فى ميدان المعاجم العلمية نشير بصفة خاصة إلى قاموس هانس ڤير (١٩٠٩) الممتاز «قاموس عربى للغة الكتابة فى العصر الحاضر» (١٩٥٢)، الذى زاد بملحق إضافى (١٩٥٩) وترجم إلى الإنجليزية (١٩٦١)، والذى يعتبر أداة لا غنى عنها لقارئ النصوص العربية الحديثة. وقد أخرج ج. كرال فى عام ١٩٦٤ قاموسًا ألمانيًا عربيًا خفيفًا. وشرع جوتس شريجله (١٩٢٣) فى إخراج قاموس ألمانى عربى كبير ظهرت منه ملزمتان حتى الآن (١٩٦٣ و١٩٦٥). ونشير فى ختام هذا العرض إلى القاموس الألمانى العربى للغة الدارجة فى فلسطين ولبنان» الذى أخرجه ليونهارد باور بالاشتراك مع أنطون شبيتالر فى طبعة ثانية (١٩٥٧).

شعراء عرب

جرت أبحاث موضوعية فى أفرع تفصيلية من الشعر العربى تتسم بالفائدة والتبيان، منها ما نشره جوستاف أ. فون جرونيباوم (١٩٠٩) فى مجلده الجامع «النقد وفن الشعر» (١٩٥٥)، من مقالات تكون سلسلة من

الدراسات الهامة فى تاريخ الأدب العربى: «فى الشعر العربى ونموه من عام ٥٠٠ إلى عام ١٠٠٠ الميلادى»، و«مفهوم الطبيعة فى الأدب العربى»، و«النقد الأدبى العربى فى القرن العاشر الميلادى»، و«مفهوم الانتحال فى النقد العربى». وهناك من أعمال المؤلف نفسه دراسة بعنوان «مساحة الواقع فى الأدب العربى المبكر» (١٩٣٧). وهناك بقلم جوستاف ريشتر (١٩٠٦ ـ ١٩٣٩) «فى تاريخ نشأة القصائد العربية القديمة» (١٩٣٨) ومن أعمال إريش بروينلش (١٨٩٢ ـ ١٩٤٥) «فى مسألة أصالة الشعر العربى القديم» (١٩٢٦) و«محاولة انتهاج نهج تأملى تاريخى أدبى فى الشعر العربى القديم» (١٩٣٧)، وبقلم مانفريد أولمن (١٩٣١) «بحوث فى شعر الرجز» (١٩٦٦)، وبقلم إيفالد ڤاجنر (١٩٢٧) «أبو نواس. دراسة فى الأدب العربى بالعصر العباسى الأول» (١٩٦٥) و«أدب التفاخر العربى ومكانه من تاريخ الأدب العام». (١٩٦٢)، وبقلم أولريش تيلو «أسماء الأماكن فى الشعر العربى القديم» (١٩٥٨). وعالج جيورج ميش (١٨٧٨) فلسفيًا موضوع «تصوير البطل العربى ذاته فى أدب ما قبل الإسلام» (١٩٥٥)، ووضع أوجوست فيشر (١٨٦٥ ـ ١٩٤٩) وإريش بروينلش (١٨٩٢ ـ ١٩٤٥) معينًا لا غنى عنه للكشف عن استشهادات الشعراء فى مدونات الشرح العربية: «فهرس الشواهد. فهرس القوافى والشعراء أصحاب الشواهد الشعرية المستعملة فى شروح الشواهد العربية وما إليها من الكتب». (١٩٤٥).

أما معالجة النصوص وإخراج الطبعات فى الحقبة الأخيرة فنشير منها إلى كتاب هلموت جيتيه «مقتطفات الشاعر عدى بن الرقاع» (لم يظهر بعد)، وكتاب إيفالد ڤاجنر «رواية ديوان أبى نواس ومخطوطاته» و«ديوان أبى نواس، جزء أول» (١٩٥٨)، وعمل ڤيلهلم هونرياخ (١٩١١)

وهلموت ريتر «مواد جديدة فى دراسة الزجل»: جزء أول. ابن قزمان. جزء ثان. مدجليس (١٩٥٠ و١٩٥٢).

واتجه جوتهولد ڤايل (١٨٨٢ - ١٩٦٠) فى كتابه «أساس ونظام الأوزان العربية القديمة» (١٩٥٨) اتجاهًا جديدًا فى تأويل عروض الخليل بن أحمد، ولكن الكلمة الحاسمة فى هذا الموضوع لم يجرِ بها قلمُ أحدٍ بعد. وكان شتيفان ڤيلد (١٩٣٧) قد شرع فى دراسات تدور حول الأوزان الشعرية العربية.

النثر العربى

قلّت الموضوعات التى يتناولها البحث حديثًا فى ميدان الأدب النثرى قلة نسبية، توشك أن تصل إلى درجة الندرة. من الأبحاث التى أجريت فى هذا الميدان نشير إلى بحث إيكرت شتيتر (١٩٣٨) «قوالب وتخطيطات فى الحديث» (١٩٦٥)، وإلى ما يقوم به هريبرت بوسّه (١٩٢٦) من بحثٍ فى النوع الأدبى المختص بمرآة الأمراء عند المسلمين، وإعدادٍ لثبت مفصل بالمخطوطات والنصوص والأعمال الثانوية. ولدينا بقلم ألبرت ديتريش (١٩١٢) دراسة عن «كتاب الجليس والأنيس للمعافى، كتاب أدب ثمين» (١٩٥٥)، وبقلم ماكس ڤايسڤايلر (١٩٠٢) «قصص عربية قديمة وخلفيتها التاريخية» (١٩٥٨)، وبقلم پاول كاله (١٨٧٥ - ١٩٦٤) «منار الأسكندرية. تمثيلية لخيال الظل فى مصر» (١٩٣٠) وبقلم ڤيلهلم هونرياخ (١٩١١) «مسرح الظل فى شمال أفريقيا» (١٩٥٩).

وكثيرًا ما اهتم الباحثون فى الحقبة الأخيرة بمجموعات الأمثلة، خاصة بالمجموعات الحديثة. وتولّدت عن هذا الاهتمام أبحاث منها

«مجموعات الأمثلة العربية الفصيحة، وخاصة مجموعة أبى عبيد» (١٩٥٤) بقلم رودلف زلهايم (١٩٢٨)، ومن أعمال إنو ليتين (١٨٧٦ ـ ١٩٥٨) «حكمة شرقية فى الأمثال. أمثال وألغاز عربية» (١٩٢٧) و«أمثال وألغاز قاهرية» (١٩٣٧)، وبقلم سعيد عبود «٥٠٠٠ مثل عربى من فلسطين» (نشرها عام ١٩٣٣)، وبقلم مارتن تيلو «٥٠٠٠ مثل عربى من فلسطين» (ترجمها من العربية إلى الألمانية عام ١٩٣٧)، وبقلم ز. د. ف. جويتاين «يمنيات. أمثال وعبارات من وسط اليمن» (١٩٣٤).

من ترجمات النصوص العربية النثرية نذكر: «طوق الحمامة. فى الحب والمحبين لأبى محمد على بن حزم الأندلسى» (١٩٤١، تكرر طبعه مرارًا) لماكس فايسفايلر. وله أيضًا «زخارف حب عربية» (١٩٥٤) و«حكايات عربية» (١٩٦٥)، ومن ترجمات هانس ڤير (١٩٠٩) «كتاب الحكايات العجيبة والأخبار الغريبة، حكايات عربية» ترجمة جزئية (١٩٥٩)، وكان ڤير قد نشر النص الأصلى عام ١٩٥٦. ومن ترجمات إنو ليتمن «حكايات عربية» (١٩٣٥) و«حكايات وطرائف عربية من مصر» (١٩٥٥) وكان قد جمعها من الرواية الشفهية.

وقد لقى الأدب العربى الحديث (نثره وشعره) الاهتمام من كارل بروكلمن الذى خصه بعرض مستفيض فى الجزء الثالث من الملحق (١٩٤٢، من ص ١ إلى ص ٤٩٩)، ولكن عدد الترجمات والدراسات التحليلية للمؤلفات المميزة لذلك الأدب النثرى الحديث قليل حتى الآن، من ذلك «محمود تيمور» (١٩٣٢) و«إبراهيم المويلحى» (١٩٥٤) لجوتفريد ڤيدمر. ولا يزال على الدراسات العربية فى ألمانيا الكثير فى هذا الميدان. ويعمل أريل بلوخ (١٩٣٣) حاليًا فى إعداد منتخب من مؤلفات الكتاب العرب المعاصرين.

مؤسّسات ومنظمات

مجلات وسلاسل

لا يعيش المستشرقون فى الفراغ، شأنهم فى ذلك شأن ممثلى الأفرع الأخرى من الدراسات، بل يضعون أنفسهم، وإن بدا عملهم شبيهًا بعمل العلماء الخاصة شبهًا كبيرًا، فى خدمة المجتمع الذى ينتمون إليه، والذى يموّلهم ويشجعهم. ويتضح هذا فى أن تخصص الاستشراق له فى كل جامعة على الأقل كرسى يمثله (انشئت كراسى الاستشراق فى فرايبورج وكيل وجيسن منذ أعوام قليلة) ومجموعة من وظائف المعيدين تتيح المجال لتنشئة جيل المستقبل من المستشرقين. وهناك عون آخر جوهرى يتلقاه الاستشراق ويتمثل فى المكتبات المتخصصة اللازمة لكل عمل علمى. فكل قسم للدراسات الشرقية أو معهد للدراسات الشرقية بأى جامعة من الجامعات يمتلك مكتبة كبيرة أو صغيرة خاصة بالقسم أو المعهد تكتمل وتتسع على الدوام. علاوة على الأقسام الخاصة بالاستشراق فى مكتبات الجامعات نفسها (وفى دار الكتب البافارية فى ميونيخ، ودار كتب غرب ألمانيا فى هامبورج). وترعى مكتبة الجامعة الخاصة بجامعة توبنجن الاستشراق بصفتها ما يسمى «منطقة التجميع الخاصة» وتتلقى بهذه الصفة من جمعية البحث الألمانية ـ تلك الجمعية

التى تموّل الكثير من مشروعات البحث المختلفة ـ اعتمادات كبيرة جدًا للقيام بشراء المؤلفات التى تصدر فى الخارج متصلة بالاستشراق بصفة منتظمة. ويمكن نظام الاستعارة فى مكتبات الجامعات الألمانية المستشرقين ـ الذين لا يجدون بغيتهم من الكتب فى مكتبة الجامعة التى يختلفون إليها ـ من الحصول عليها من مكتبة أخرى بالطريق الرسمى. ونود فى هذا المقام أن نذكر بالامتنان نشاط أمناء المكتبات الاستشراقية المتخصصين الذين يعنون فى سكون تام وفى غير كلف بالإعلان عن أنفسهم بشراء النشريات التى تظهر حديثًا أو التى تعرضها مكتبات الكتب القديمة، ويُعِدّون بذلك للمتخصصين وسائل العمل التى لا غنى لهم عنها، أو التى تمهّد لهم التصدى لمشروعات للبحث يعقدون عليها العزم، ولا أقل من أن نذكر اسمًا واحدًا ينوب عن الجميع، اسم أمين مكتبة جامعة توبنجن المستشرق الهادئ إميل كومرر.

والمستشرقون الألمان منظمون فى جمعية تضمهم هى الجمعية الشرقية الألمانية ذات كيان «الاتحاد المسجل» التى تقوم منذ ١٢٠ سنة والتى تجمع المستشرقين الألمان ومن بينهم ممثلو الدراسات المصرولوجية والهندولوجية والصينولوجية واليابانولوجية والدراسات الأفريقية. أنشئت الجمعية الشرقية الألمانية فى عام ١٨٤٥ ثمرة سعى المستشرق المتخصص فى الدراسات العربية هاينرش ليبرشت فلايشر فى لايبتسج، وأعيد إنشاؤها بعد الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٤٨ فى ماينتس ثمرة مبادرة هلموت شيل (١٨٩٥)، لتمثل تحت رئاسة أعضاء مجلس إدارتها العاملين بصفة شرفية مصالح المستشرقين الألمان ولتقيم علاقات لهم مع ممثلى هذا التخصص من الأجانب ولتنظم بصفة دورية كل عامين أو ثلاثة أعوام مؤتمرًا المانيًا داخليًا للمستشرقين (انعقد المؤتمر الأخير فى الصيف فى مدينة هايدلبرج).

وللجمعية الشرقية الألمانية منذ ١٩٦١ معهد ألمانى للدراسات الشرقية فى بيروت مهمته القيام بموضوعات بحث خاصة وعلى تدعيم الصلة بين الاستشراق والبلدان العربية، وبملاحظة عمليات الطبع التى تجريها الجمعية فى المطابع العربية. ويهدف هذا المعهد بصفة خاصة إلى إعطاء المستشرقين الألمان وخاصة المتخصصين فى الدراسات العربية والدراسات الإسلامية، والشباب منهم، فرصة متابعة دراساتهم وبحوثهم فى فترة إقامة تستمر بين سنة وسنتين فى ربوع الشرق. وقد نهض هانس روبرت رويمر (١٩١٥) بصفته المدير الأول للمعهد بإنشائه واستحق الثناء والتقدير على ما بذل من جهد فى هذا السبيل. وظل رويمر مديرًا للمعهد حتى استُدعى إلى جامعة فرايبورج لشغل كرسى الاستشراق بها عام ١٩٦٣، فخلفه فى إدارة المعهد فريتس شتيبات (١٩٢٣).

وتظهر مجلة الجمعية الشرقية الألمانية بانتظام حاملة المقالات العلمية المتخصصة ونقد الكتب فى ميادين الاستشراق جميعًا بما فى ذلك ميدان الدراسات الصينولوجية وغيره، وبلغ عدد ما صدر من مجلداتها حتى الآن ١١٥ عددًا، عكف إيفالد ڤاجنر على إعداد فهرس عام (صدر عام ١٩٥٥) لمواد المجلدات المئة الأولى منها، تسهيلاً للبحث والإفادة. وهناك فضلاً عن هذه المجلة، مسلسلات نشرية تمولها الجمعية وترعاها وهى «دراسات فى علم المشرق» و«المكتبة الإسلامية» وهى سلسلة من النشريات أنشأها هلموت ريتر عام ١٩٢٩. ويجد ممثلو الدراسات العربية والدراسات الإسلامية مجالاً آخر لنشر مقالاتهم ودراساتهم الصغيرة يتمثل فى مجلتين أخريين غير مجلة الجمعية الشرقية الألمانية، أشرنا إليهما من قبل، هما مجلة «الإسلام» (منذ عام

١٩١٠. فى العام الواحد والأربعين حاليًا)، ومجلة «عالم الإسلام» (منذ عام ١٩١٤، ثم أصبحت سلسلة جديدة بترقيم جديد ابتداء من عام ١٩٥١). وقد ظهرت من مجلة إسلاميكا التى أسسها أوجست فيشر مجلدات سبعة بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٩. وتختص «جريدة المدونات الاستشراقية» بمناقشة الكتب المتصلة بالاستشراق ونقدها، ولا تتعدى هذا الاختصاص قط، وكانت تصدر من عام ١٨٩٨ حتى عام ١٩٤٤ واكتملت لها ٤٧ سنة من الصدور، ثم كان لريشارد هرتمن فضل المبادرة بإعادة إصدارها منذ عام ١٩٥٣. أما مجلة «أورينس» التى نشأت عام ١٩٤٨ واشترك فى إنشائها وتحريرها هلموت ريتر اشتراكًا جوهريًا والتى يقوم على تحريرها حاليًا بعد هلموت ريتر فى فرنكفورت رودولف زلهايم، فهى تنطق باسم الجمعية الدولية لبحوث الشرق، ولا تعتبر مجلة ألمانية إلا بتحفظ. وقد صدر منها حتى الآن ١٨ سنة. أما سلسلة النشريات المختصة بالدراسات الإسلامية التى أسسها ج. أ. فون جرونيباوم عام ١٩٦٣ «مكتبة الشرق» فقد أشرنا إليها من قبل. ونشير فى هذا المقام أيضًا إلى مجلة «الشرق» التى تختص بأحوال الشرق حاليًا وبأحواله الاقتصادية بالدرجة الأولى، والتى تخرج عن «اتحاد الشرق الأدنى والأوسط» فى هامبورج وتتحدث بلسانه. كذلك نشير إلى مجلة «موندوس» التى يخرجها هـ. ف. بير منذ عام ١٩٦٥ باللغة الإنجليزية ويناقش فيها النشريات الألمانية العلمية الجديدة التى تختص بآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، فهى تضم فيما تضم أخبار النشريات الجديدة فى صعيد الدراسات الإسلامية والدراسات العربية.

نظرة إلى الوراء ونظرة إلى الأمام

إذا نظر الإنسان نظرة إلى الوراء إلى النشريات الكثيرة التى صدرت فى الحقبة الأخيرة باللغة الألمانية فى ميدان الدراسات الإسلامية والدراسات العربية، راعه ضخامة ما أنجز من عمل وما هو بسبيل الإنجاز. كل دراسة تعتمد على علم متعمق وجهد صلب وتنطق بحب عظيم للمادة التى تتخذها موضوعًا لها. ويحق للإنسان أن يفرح بما تم، ويخطئ الإنسان إن أخذه الغرور والزهو، والأحرى به أن يتواضع ويفكر فى حدود المعرفة البشرية. كل دراسة فى هذا الميدان هى فى حقيقتها جزء صغير أو ضئيل فى كلٍّ كبير مكانه فى البُعد، فى المستقبل، ولا سبيل إلى بلوغه بل إلى الاقتراب منه على أحسن الأحوال إلا بخطى صغيرة. وينبغى على العالم أن يعيد النظر فى موقفه من حين لآخر ويتمثل ضخامة المادة التى عليه أن يحيط بها والمدوّنات الثانوية التى زاد حجمها زيادة تجعل من المحال أن يلم بها، ويسأل نفسه ألم يَهْوِ إلى لون من العزلة، وألم توشك دراساته المتخصصة أن تصبح هدفًا لذاتها؟

لا شك أن البحث العلمى العميق وحده هو الذى يأخذ بيدنا إلى أمام، ولا شك أننا لا نستطيع أن نجعله مقبولاً من كل إنسان سائغًا لكل فم.

هذا إلى أن العالم مضطر اليوم أكثر من أى وقت مضى إلى الكلف بالثغرات، أعنى إلى الاهتمام بمراكز ثقل معينة وإلى قبول الاكتفاء من الميادين الأخرى بما يكتفى به غير المتخصص فيها من علم. ولكن لا بد أن تكون مراكز الثقل التى يوجه إليها اهتمامه مراكز ثقل حقًا وصدقًا، ولا ينبغى أن تكون مجرّد غرائب وعجائب، والفيصل فى الأمر هو تقدير ما إذا كانت المعلومات والآراء التى يرجو الحصول عليها نتيجة لبحثه تبشر فى غير كثير من التنكب وفى وقت معلوم معقول بثمرة تفيد جماعة أوسع من إخوانه البشر.

وقد يُؤتى المتخصص ـ فى هذه الحالة: المتخصص فى العلوم الإسلامية أو المتخصص فى العلوم العربية ـ فرصة تعريف جمهور كبير بميدان نشاطه العلمى مباشرة بمحاضرة عامة يلقيها عليه أو كتيب مبسط يصنفه له، فعليه أن ينتهزها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً وإلا يتشبث بوجهة نظر الفن للفن التى تقادم عهدها. ونحن ـ معشر المستشرقين ـ نتمتع بميزة الجلوس فى مكان ذى نافذة نطل منه على الشرق الساحر الجذاب. والآخرون على حقٍ عندما ينتظرون منا أن نعرِّفهم من حين لآخر بالعالم الذى نحيط به علمًا، ولو سلكنا فى ذلك سبيل كتاب مؤقت. وسنجد فى الاهتمام الواعى لجمهور المستمعين الكبير الذى نُلقى عليه ما نصف من محاضرات، وفى الاستجابة المدهشة لجمهور القارئين الواسع المنتشر الذى ندفع إليه ما نصف من كتب، ما يعوض الجهد الذى نبذله فى صب العلم المتخصص فى قالب مبسط يفهمه العامة.

وهناك آمال وتمنيات تختلج فى أنفسنا فى أمر توسيع الاستشراق الألمانى وتطويره، فنحن، على قدر ما أتبين، مفتقرون فى الوقت

الحاضر إلى عالم متخصص فى عملية الإصلاح والتجديد التى تتناول الشريعة الإسلامية وخاصة ما يتصل منها بالأحوال الشخصية. وإذا كان لدينا الآن تمثيل قوى حاليًا للبحوث الخاصة باللهجات فى الدراسات العربية، فإن عدد الأبحاث التى تتناول تاريخ الأدب لا يزال قليلاً نسبيًا، ولا يزال البحث فى الأدب العربى الحديث فى بدايته لم يتجاوزها إلا قليلاً. وهناك طائفة كبيرة من الموضوعات والمشكلات الهامة تتطلب المزيد من الجهد، ولدينا جيل جديد مؤهل نابه مستعد للعمل، والدلائل كلها توحى بأن أفرع علوم العربية والعلوم الإسلامية ستستمر فى الازدهار والنماء بالجامعات الألمانية فى المستقبل أيضًا.

وقد يؤدى استقلال الدراسات الإسلامية وتحولها إلى مادة قائمة بذاتها، مع التطور الجديد الذى شمل الدراسات العربية، إلى تغييرات فى نظام تمثيل هذه الدراسات بالجامعات فى وقت قريب. فالدراسات الإسلامية (وتتوسطها اللغة العربية لغةً رئيسية) تفرعت من الدراسات السامية، وأدى هذا إلى ما جرت عليه العادة حتى الآن، من قيام أستاذ كرسى الدراسات الإسلامية بتمثيل مادة الدراسات السامية أيضًا، أو على العكس، من اشتراط تضلع المستشرق من الدراسات السامية أولاً ليشغل كرسى الاستشراق، وليمثل الدراسات الإسلامية بصفة توشك أن تكون إضافية فقط. كان يُطلب من أستاذ الإسلاميات إذن معرفة اللغات العربية والفارسية والتركية، وعلاوة عليها معرفة العبرية والسريانية والآرامية والحبشية، يعنى معرفة ست لغات شرقية شرطًا أساسيًا لشغل المنصب. ومن البديهى أن الإثقال الشديد فى الصعيد اللغوى (بما فى ذلك القيام بالتدريس اللغوى فى القسم) أدى إلى المساس بالدرس والبحث فيما يتعلق بميدان الدراسات الإسلامية خاصة. لهذا يبدو من

الضرورى أن تُتخذ خطوات لتصفية ما لا بد من تصفيته. فإن الأستاذ الذى يمثل مادة الدراسات الإسلامية يملأ بها وقته كله، والأفضل الا يكلف بتدريس السريانية ـ الآرامية والأثيوبية أو اية لغة سامية أخرى (غير اللغة العربية). على أن هذا الفصل يحمل فى طياته صعوبات تهدد من الناحية العملية بزيادة، إن لم يكن بمضاعفة عدد كراسى الاستشراق. وربما أمكن الالتجاء إلى تخصيص كراسى الاستشراق القائمة حاليًا خاصة بالجامعات المتجاورة، هذا للدراسات الإسلامية يقوم عليه أستاذ فى الإسلاميات، وذاك للدراسات السامية يقوم عليه أستاذ فى الساميات. ولكن هذه كلها أفكار وإمكانات تطوير تشير إلى مستقبل بعيد. وإذا كنا نعبر عنها هنا، فقصدنا من هذا أن نبيّن أن الدراسات الإسلامية (باللغة العربية لغة أساسية) قد استقلت تمامًا وأصبحت مادة قائمة بذاتها، وأنه يستحب أن يركز الأساتذة الجامعيون الذين يختصون بهذه المادة، جهدهم كله مستقبلاً فى هذا الميدان من الدرس والبحث، وهو ميدان له أهميته، وله تشعباته الكثيرة.

فهرس بأسماء المستشرقين الذين ورد ذكرهم بالكتاب

Diez, Ernst

Diewald- Wilzer, Susanna

Dubler, César E.

Duda, Dororthea

Duda, Herbert W.

Eilers, Wilhelm

Ess, Josef van

Erdmann, Kurt

Ernst, Hans

Erpenius, Thomas

Ettinghausen, Richard

Euting, Julius

Fischer, August

Fischer, Wolfdietrich

Fleischer, Heinrich Lebe-recht

Fleischhammer, Manfred

Fleischmann, Manfred

Flemming, Barbara

Flügel, Gustav

Forrer, Ludwig

Fraenkel, Siegmund

Freyer, Barbara

Freytag, Georg Wilhelm

Fritshc

Fück, Johann

Gätje, Helmut

Galland, Antoine

Garbers, Karl

Geiger, Abraham

Stetter, Eckert

Stieglecker, Hermann

Stiehl, R.

Strothmann, Rudolf

Stumme, Hans

Suter, Heinrich

Taeschner, Franz

Teufel, Johann Karl

Tholo Martin

Thilo, Ulrich

Thorbecke, Heinrich

Thorning, Hermann

Tietz- (Jacobi), Renate

Topf, Erich

Tschudi, Rudolf

Ullmann, Manfred

Venerabilis, Petrus
Voigt, Wolfgang
Vollers, Karl
Wagner, Ewald
Wahrmund, Adolf
Walzer, Richard
Wangelin, Helmut
Wehr, Hans
Weil, Gotthold
Weil, Gustav
Weissbach, F. K.
Weisweiler, Max
Wellhausen, Julius
Wensinck, Arent Jan
Wernst, Paul
Wetzstein, Johann Gottfried
Widmer, Gottfried
Wiedemann, Eilhard
Wild, Stefan
Winkler, Hans Alexander
Wissmann, Hermann von
Wittek, Paul
Wüstenfeld, Ferdinand

المؤلف فى سطور:

رودى پارت

وُلد عام ١٩٠١، درس اللغات السامية والتركية والفارسية فى جامعة توبنجن فى الفترة من ١٩٢٠ حتى ١٩٢٤، وتخرج على يد المستشرق الألمانى ليتمان. أمضى سنتين فى القاهرة (١٩٢٥ و١٩٢٦)، كان اهتمامه فى البداية بالأدب الشعبى ثم تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية، خاصة القرآن الكريم. تولى العديد من المناصب العلمية منها مدرّس فى جامعة توبنجن، وأستاذًا بجامعة هايدلبرج، ثم عاد إلى توبنجن أستاذًا للغة العربية والإسلاميات من عام ١٩٥١ ـ ١٩٦٨. من أهم مؤلفاته «محمد والقرآن» كما ترجم معانى القرآن الكريم إلى الألمانية، وله كتاب عن القرآن بعنوان «القرآن تعليق وفهرست».

المترجم فى سطور:

مصطفى ماهر

وُلد فى القاهرة فى عام ١٩٣٦. وهو أستاذ بكلية الألسن جامعة عين شمس، حيث أسس منذ مطلع الستينيات قسم اللغة الألمانية وآدابها والترجمة على المستوى الأكاديمى، وأدخل علم الترجمة الذى ازداد ترسخًا بمرور الزمن. درس فقه اللغة الألمانية وآدابها، وفقه اللغات ذوات الأصول اللاتينية، وفقه لغات وثقافات الأمم الإسلامية وحصل فيها على الدكتوراه من جامعة كولونيا بألمانيا فى عام ١٩٦٢. له فلسفته الثقافية ونظريته فى الترجمة، ومن أقواله: «تؤدى الترجمة أدوارًا حاسمة فى تشكيل الاستقبال الثقافى واستثماره، وفى العمل على التغلب على الحواجز بين الثقافات، محولة الحواجز إلى جسور، إلى أن تتحقق بالترجمة أدق صور ثقافية إنسانية ممكنة معبرة عن تكامل البشر». أهم ترجماته: ترجمة القرآن الكريم كاملاً إلى اللغة الألمانية (نشرتها وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية). له برنامج ترجمة متكامل يقوم علىّ انسجام جهوده الفردية فى مجالات الثقافة وبخاصة الأدب والفلسفة مع الجهود المؤسساتية. ظهرت أول ترجماته عن الفرنسية فى عام ١٩٥٢/١٩٥٣ وما زال نشاطه - منذ اعتمده طه حسين مترجمًا - مستمرًا منذ أكثر من نصف قرن فى النقل عن الفرنسية والألمانية. تشمل ترجماته المنشورة مجموعة

مجلدات المختارات، وأعمالاً أدبية كاملة تمثل العصور المختلفة من العصر الوسيط إلى العصر الحاضر نذكر منها فى مجال كلاسيكيات المسرح الألمانى مسرحيات جوته من البداية إلى الصياغة الأولى لفاوست، ومسرحيات مختارة من أعمال ليسنج وكلايست وكبار المعاصرين من أمثال دورينمات وفريش وهادنكه. ونذكر فى مجال الأدب القصصى السيرة الذاتية لجوته ولعبة الكريات الزجاجية لهرمن هيسه والقصر والقضية لكافكا. وهو يذكر بامتنان خاص تكريم المؤتمر الدولى الأول للترجمة الذى أقامه المركز القومى للترجمة بمشاركة المجلس الأعلى للثقافة فى القاهرة فى مارس ٢٠١٠ له تقديرًا لعطائه وجهوده فى إثراء حقل الترجمة من وإلى العربية.

التصحيح اللغوى : وليد خير الله
الإشراف الفنى : حسن كامل